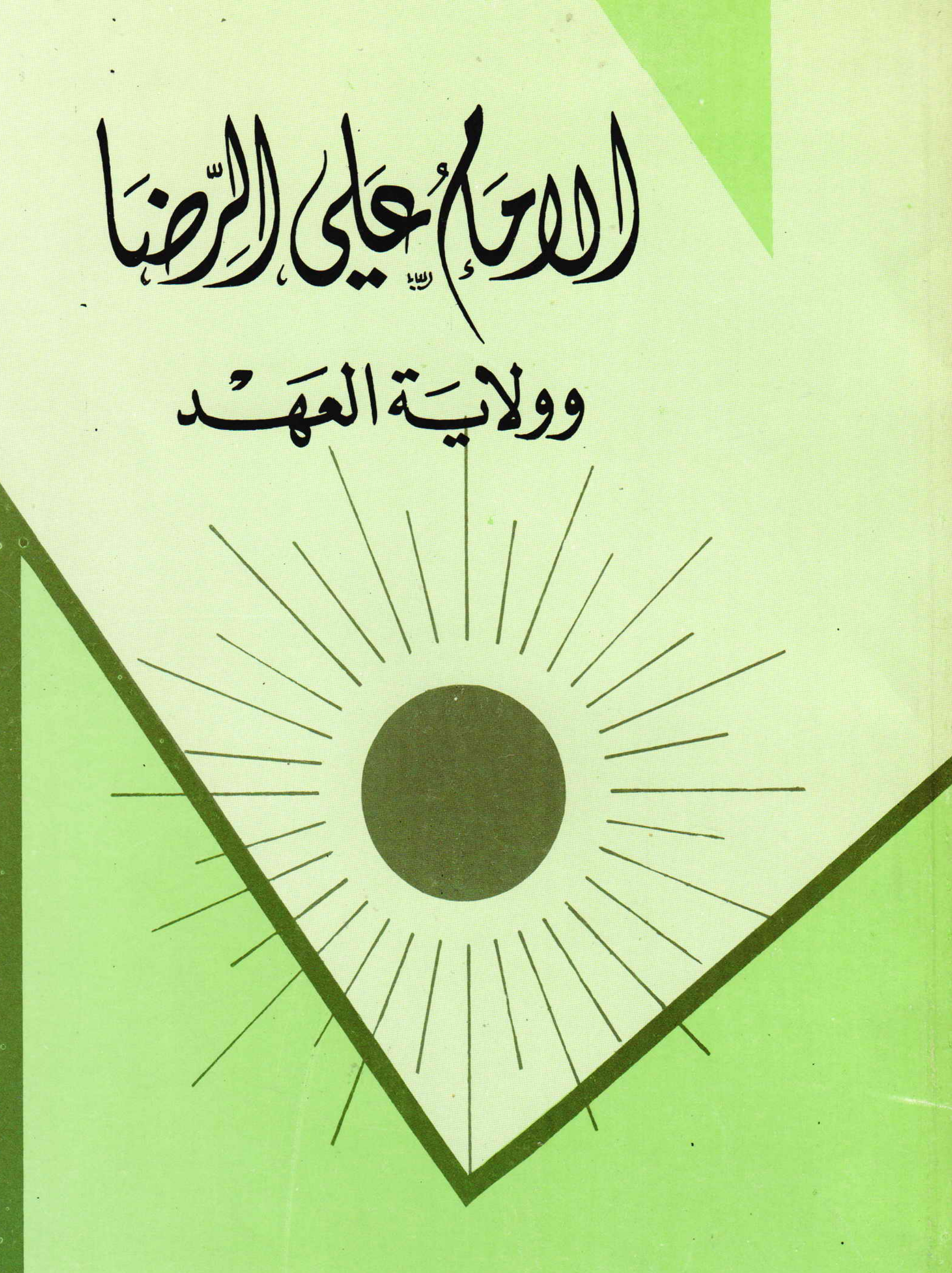
اسحق شاكر العيشي

الإمام علي الرضا عليه السلام

وولاية العهد



دار الكتاب اللبناني

الامام علي الرضا

الإمام علي الرضا ﴿ع﴾

وولاية العهد

مع عرض موجز لحركة التشيّع

بقلم
إسحق شاكر العيشي
دبلوم في علم الاجتماع الإسلامي من جامعة القديس يوسف
بيروت

دار الكتاب اللبناني - بيروت

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبان)
هاتف ٢٥٧٤٧٠ - ٢٣٧٥٣٧
TELEX No 22865 K.T.L
LE BEIRUT

الطبعة الأولى
١٩٨١

الإهداء

الى الضاربين في الارض المنتشرين في اصقاع المعمورة،الى الجماهير الشيعية المناضلة في سبيل العيش الكريم والحياة الافضل ، اليهم مقيمين ومغتربين في كل الانحاء اقدم هذا الكتاب : « الامام علي بن موسى الرضا وولاية العهد » .

اسحق العشي

في ١/ ٩/ ١٩٨٠



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم المفتي الجعفري الممتاز العلامة الشيخ عبد الامير قبلان

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين .

امام هذه الصفحات من تاريخ الامام علي بن موسى الرضا (ع) اقف متأملا سيرة هذا العظيم ، وما يربطنا به من قيم ومثل ، وما يحدونا الى القول :

ان بحث الانسان الواعي في هذه الأيام عن الشخصيات القيادية الرائدة يعطينا اكثر من معنى ويشدنا من جديد الى التراث ، ويضعنا امام واقع جديد يدفعنا الى التمسك بأئمة الحق ، ويكشف للاجيال ملابسات ما طمسه الحكام من معالم وحقيقة .

وفي زمن تمزقت القوى ، وتبعثرت الجهود ، وضاعت الاتعاب ، وخابت الآمال ، نرى الحاجة ملحة للعودة لقادة السفينة الحقيقية .

وان الحديث عن الامام الرضا عليه السلام غريب الغرباء ، وبعيد المدى ومعين الضعفاء ، وعقدة الوصل بين العبد وخالقه ، جدير بالاهتمام والاعتزاز ، وحري بشبابنا العودة الى مناهلهم الطبيعية ، والى فطرتهم التي فطرهم الله عليها .

العمل الشجاع في هذه الحقبة من الزمن ، اعطاء الرأي بصراحة ووضوح رؤيا . جميل بنا ان نعود ـ والعود أفضل ـ الى الحلقة الاستمرارية للنبوة لنتعرف عليها عن قرب وندرس هذه السيرة دراسة مفصلة او مجملة كما

فعل الاستاذ اسحق العشي في دراسته للامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) .

الامام الرضا الذي واكب العصر العباسي الاول ، وعاش صنوف الالام التي حلت بأبيه في معتقلات بني العباس . وبالخصوص عند انتقال الخلافة الى المأمون وصعوبة الوضع والمشاكل الرئيسية التي واجهت الخليفة .

واهمها :

١ ـ ضعف هيبة الدولة بعد المعارك الطاحنة التي وقعت بين جماعة المأمون وجماعة الامين .
٢ ـ نقمة العباسيين على المأمون لنقله العاصمة الى إيران ، وقربه الكبير من الفرس .
٣ ـ الحركات الثورية التي يشرف عليها العلويون في الأماكن التي تواجدوا فيها .

حيال هذا الواقع فكر المأمون مليّاً ، وتفتقت الحيلة أمامه الى فكرة دعوة الامام الرضا الى مرو ، وعرض عليه عقد لواء الخلافة وتنصيبه ولياً للعهد ، ولكن الامام رفض العرض والمأمون أصر عليه .

وكان الدافع للخليفة العباسي لهذا العرض ، هو التخلص من المواقف الصعبة والحرجة التي وصلت اليها البلاد ، وبالخصوص تلك الحركات القائمة في قلب البلاد الاسلامية (مكة ، الكوفة ، اليمن ، البصرة) حيث يكون قبول الامام الرضا بولاية العهد ومشاركته للمأمون في الحكم قد أفقد تلك الحركات وقود اشتعالها .

وكان دافع الإمام الرضا عليه السلام للرفض معرفته التامة واليقينية بأن المأمون مندفع في عناده وإصراره من المصلحة الشخصية ليستغل نفوذ الامام ويجعله الواجهة في حرب تلك الحركات القائمة باسم آل محمد ، ولكن الامام مع شعوره بالحرج تجاه هذا العرض والرفض المطلق قد يفسَّر بعدم استحقاقه

او عدم قدرته ، ولذلك وافق مكرها لتكون فترة تجربة واختبار وامتحان .

وبعد ذلك ـ وهو المنتظَر ـ بدأت المشاحنات والتناقضات والدسائس تحاك في السر والعلانية في زوايا بيوت العائلة المالكة ، وتشجيعهم المأمون للقضاء على الإمام وكيفية الخلاص وفك الارتباط المفروض .

وفي هذه الأثناء توفي الامام في ظروف غامضة لا يعرفها إلا اللّه والمخططون لها .

ان هذه الدراسة على اجمالها تعطيك صورة واضحة لسيرة هذا العظيم وما عاناه من متاعب ومشاكل في سبيل الحق ، جزى اللّه الاستاذ اسحق العشي خير الجزاء وجعله قدوة لابناء جيله للعودة من جديد الى القادة الذين أوصى بهم الله .

عبد الامير قبلان



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان فكرة تأليف هذا الكتاب التمعت في صدري منذ مدة طويلة التماع البرق في طيات السحاب وغلت في دمي غليان الغيرة على طائفتنا الشيعية . هذه الطائفة التي عاشت قرونا طويلة تكافح وتجاهد في سبيل حرية الاسلام والعودة به الى أصالته الطبيعية فما كانت تنتهي من ثورة على الظلم والفساد الا لتبدأ من جديد بثورة اجتماعية اصلاحية عارمة على المفسدين والمتسلطين على أزمة الحكم والسلطان في كل آن .

فهذه الطائفة وجدت نفسها اليوم ـ كما في السابق ـ رائدة لكل حركة اصلاحية وقائدة للجماهير المناضلة المكافحة لحياة حرة كريمة يعز بها الاسلام ويذل بها النفاق فلم تقف مكتوفة الايدي أمام ما يجري على الساحة الاسلامية من تمزق وانقسام . انطلقت من قمقمها وكشفت الغشاوة عن أبصار المسلمين كي ينظروا الى الحياة بجدية راجعين الى الأصل الديني المفروض عليهم ، سائرين اخوة متحابين يشد بعضهم أزر بعض ، ولا عجب في ذلك فهم منضوون تحت لواء واحد ومعتصمون بمبدأ واحد وعقيدة واحدة : عقيدة محمد وأهل بيته .

اولئك الذين كانوا ملاذ الجماهير الاسلامية ، ولا يزالون فكرة سامية محركة تغذي العقول وتبعث في النفوس كل همة ، وتذكي في القلوب شعلة نور تبعث فيها الحيوية والنشاط لاتمام هيكل التوحيد والعدالة .

فالأئمة الأطهار ملأوا الارض علماً وعملاً ونجدة وكرماً ونبلاً . وبنوا مجدنا الاسلامي على هام الكواكب والنجوم . فهم الاخيار الذين بشّر بهم النبي المختار ، صانعو تاريخنا المشرف ورافعو لواء العدالة الاجتماعية متحدين الاضطهاد على الرغم مما لاقوه ايام الدولتين الأموية والعباسية ، ولكن الله تعالى لا يطفىء نور الهداية وإن غشيته في غفلة التاريخ سحب دكناء بددتها عقيدة إسلامية صادقة .

لهذا كله أدعو بكل اعتزاز أن يعتصم المسلمون بحبل الله تحت لواء الحق والعدل والمساواة وأن يكونوا يداً واحدة ليدرأوا عنهم الأخطار التي تحيط بهم ويعودوا الى مبادئهم السليمة التي دعا اليها ائمتهم من قبل ، فكافحوا وجاهدوا في سبيلها فهذا أجدر بهم وأسلم عاقبة لهم ، فهم الى الاتحاد أشد احتياجاً من غيرهم ، فائمتهم لم يكونوا دعاة فرقة وتباغض ، بل دعاة ألفة وتحابب عملوا لها في حياتهم باذلين أرواحهم قرابين لديمومة تلك المبادىء والمثل .

لهذا حاولت جاهداً ان أضع هذه الدراسة الوجيزة بين أيدي المسلمين عن واحد من أئمتهم وقادتهم : « الإمام علي بن موسى الرضا وولاية العهد » آملاً أن يهدينا الله الى ما فيه خير المسلمين الذين إن اتبعوا مسلك أسلافهم وائمتهم لن يضلوا أبداً .

فالإمام الرضا واحد من أولئك الأئمة الاطهار ومفخرة من مفاخر الأمة الإسلامية ومشعل من مشاعل حريتها اختط الطريق محفوفة بالمخاطر بأمانة وصدق شأنه شأن من سبقه من أئمة الهدى الذين بنوا أول لبنة في صرح الحضارة الاسلامية في ذلك الزمان البعيد .

ولكننا اليوم نرى الاسلام يعيش واقعاً مؤلماً تتمثل حقيقته في انحساره كمبدأ عن واقع الحياة وانفساح المجال أمام التيارات الكافرة والضالة التي انطلقت في عملية تهديم للإسلام والقيم وافساد الضمائر والنفوس في انهزام المسلم كشخصية رسالية أمام قضيته وقيمه وضعفه نفسيّاً أمام عنت التيارات

المعادية وضراوتها واستسلامه الهادىء لجموع الدعوات المناهضة له ولأهدافه ، وبالآخر فقدانه الثقة بنفسه وقضيته فلم يعد يؤمن أن له قضية أو رسالة يجب عليه الكفاح من أجلها ، ولم تقتصر القضية عند هذا الحد بل تعدته الى ان اعتبرت التفكير في العمل على إعادة الاسلام الى الحياة عقيدة وتشريعاً ليفهم ويُعاش فيطاع الله سبحانه حقّ طاعته ، واعتبرته تفكيراً خيالياً لا يجديه إلاَّ المشاركة في حشد الأذهان بمزيد من الترف الفكري وخلق المتاعب للناس الآمنين وتعطيل مواهبهم عن الانطلاق في مجراها الطبيعي ، كما يتمثل واقعنا في خسارة المجتمع العربي الاسلامي أجزاء هامة من وطنه ، وافلاسه السياسي والعملي والعسكري عن حماية نفسه من الغزو الاستعماري المتواصل ، فضلاً عن تحرير الأرض ، واستسلامه المخزي أمام العدو مع ما يملك من الطاقات الكبرى بسبب خضوعه العقيدي والتشريعي والاقتصادي والسياسي للاستعمار .

امام هذا الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة العربية الاسلامية اليوم ، فاننا نقف أمام التاريخ لنكشف عن سجل أمتنا وقاموسنا العملي فنرى أن ائمتنا الاخيار يمثلون منبعاً لا يغيض وانطلاقة هادرة وعدالة لا تهاود الظالمين ومعين فكر لا ينضب وايماناً لا يعرف الانهزام ويبدو واقعنا الحاضر بقامته الفارغة وهيكله الميت ووجودنا المهزوم ارضاً مستعمرة ومسجدنا الأقصى يسرح فيه المحتلوّن الغاصبون ونحن في غفلة سادرون وانساننا يتاجر به ، امام هذا الواقع التاريخي يجب علينا ان نتحسس باعصاب قوية ليعود دمنا الاسلامي حارّاً متدفقاً يحمل الوعي الفكري والعقيدة المؤمنة الصادقة ونلزم نحن بزمام مصيرنا ونسير عجلة تاريخناونصنع مستقبلنا بايدينا وذلك لا يكون إلا بالرجوع الى ضمائرنا نستجلي عيوبنا فنجتنبها ونربط ماضينا الخالد بحاضر يريد ان يتحرر وينهض على اساس منهج الله ومبدأ محمد وطريق علي وخلفائه .

واخيراً وليس آخراً نسأل اللّه أن يسدّد خطى القيِّمين على الاسلام ، ويؤلف بين قلوبهم فهو ولي الامر والتوفيق .

المؤلف

الباب الاول

الحضارة الاسلامية واهل بيت النبوة



الفصل الأول
اضواء النبوَّة المحمدية وانتشار الحضارة الاسلامية

في تلك الفترة التي خبت فيها أنوار الحقّ ، وانطمست معالم الهدى ، وغشي العالم ظلام الجهل الحالك ، وتاهت العقول في مهامه الشِّرك والضَّلال . لمع من جانب البطحاء نورٌ اضاء ما حوله ، ثم ما لبث أن تغلغل في احشاء الشام وفارس ، ثمَّ عمَّ القارات الثلاث ، فبعث فيها حياة جديدة ، لا يسمع فيها إلاَّ نداء التوحيد ولا يصاخ الاّ لسلطان الحقِّ ، ولا يقام إلاَّ قسطاس العدل ، يستوعبه الغنيُّ والفقير ، الأمير والحقير ، ذلك النور هو نور النبوة المحمدية ، الذي انبثق من صميم العرب وأخلص بطونهم .

كان إشراق نور محمد نبيِّ العرب ورسول البشر فجراً صادقاً وضَّاء ، وحدا فاصلاً بين الشِّرك والتوحيد ، والباطل والحقِّ ، والغواية والهداية والظّلم والعدل ، والخوف والطمأنينة . وكانت شريعته السمحاء ، اسمى الشرائع تنزيلاً وأحسنها تبييناً وأعدلها قسطاساً ، وأنهضها حجَّة واوضحها محجَّة ؛ فاستجابت لها العقول وانقادت لها القبائل ، ودخل الناس في دين اللّه أفواجاً .

ظلَّت شريعته تتنزل عليه تنزيلاً على حسب الوقائع والظروف وظل قيماً عليها إلى أن أكمل اللّه للمسلمين دينهم ، وأفاض عليهم من نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً . وقبض النبيُّ (ص) إلى الرفيق الأعلى والإسلام يترعرع في أحضان صحبه الأبرار وآل بيته الأخيار ، وكانت لهم أكبر دولةٍ تمشّت على سنن الرسول الأعظم ، واتبعت مبادئه العادلة وسننه التي سنها للعالم وللمسلمين .

وكان من الإسلام ابطال لمعت اسماؤهم في التاريخ الوسيط ، قدَّموا للعالَم اكبر مثل فى العدالة الاجتماعية وتمت لهم فتوحات في الشّرق والغرب ، وكانت حضارتهم تجسيداً للنشاط العقليّ ، وسجلاً لتطوُّر هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية وحربية وعمرانية وإنَّ دراسة تاريخ العرب تتناول إلى جانب ذلك وسائل انتاج الإنسان ومستوى معيشته ، وفنونه الجميلة ، ومعتقداته الدينية ، وأساطيره وعلومه ، وآدابه ، ووسائل كفاحه المستمر مع الطبيعة .

وإنَّ تاريخهم لم يعد كما عرفه المؤرِّخ الانكليزي : « ادوارد فريمان » تاريخ السياسة الماضية ، بل إنه أصبح بالذات تاريخ الحضارة ، والحضارة هذه فعل تام متحرك كالكائن الحيِّ ، تولد ثمَّ تحبو طفلة طريَّة العود ، حتى إذا اشتدَّ ساقها واينعت بدأ عهدها المزدهر أو شبابها المعطي ، فإذا استنفذت طاقتها المخزونة بدأت تنحدر نحو الهرم والشيخوخة ، وبدأ عطاؤها يشحُّ وينضب الى أن تنقرض .

في كلِّ حضارة بلا شكّ بذرة بقاء هي الإرث الحضاريُّ الذي تتركه وراءها ، وهذاالارث مشاع كالهواء ، يمكن لكلِّ امةٍ أن تفيد منه ، كما يمكن لكل حضارةٍ أن تتفاعل معه وتجعله لبنةً في بنيانها ، فالحضارة المنغلقة على نفسها مبتلاة بالعقم لأنَّ جوهرها يفتقر الى بذرة بقاء ، وحضارتنا الاسلامية واحدة من الحضارات المنفتحة على التاريخ ، انهامن الحضارات الشَّاملة الَّتي تأثَّرت بها شعوب مختلفة ، ولعبت دورها المجيد في سير الحضارة البشرية . ولولم يكن لحضارتنا الاّ دور الوسيط الذي حمل الى الغرب أنفس ما في التراثين اليونانيّ والروماني لكفاها ذلك فخراً ، ولجنبها تهمة الشُّحّ في العطاء التي يحاول بعض المتجنين على التاريخ إلصاقها بها .

قال غوستاف لوبون : « لقد انشأ العرب بسرعة حضارةً جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها ، وتمكّنوا بحسن سياستهم من حمل أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وثقافتهم ، ولم يشذَّ عن ذلك أقدم

الشعوب كالمصريين والهنود الَّذين رضوا أيضاً بمعتقدات العرب وعاداتهم . »

إنَّ الأمم التي غابت عن التاريخ لم تترك غير أطلال ، وصارت أديانها ولغاتها ذكريات ، اما الإسلام فما زالت عناصر حضارته باقيةً حية ، فرسالة محمَّد العربيّ حاربت التراتب الطبقي البغيض واعلنت على لسانه : كلكم لآدم وآدم من تراب ، الناس سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربيٍّ على أعجميٍّ إلاَّ بالتقوى ، الخلق كلُّهم عيال اللَّه وأحبهم اليه أنفعهم لعياله ـ وإنه لمن الثَّابت أنَّ جامعاتٍ أوروبية ظلَّت أكثر من ستةِ قرون تغتذي بكتب العرب العلمية ؛ الَّتي ظلَّت وحدها مادة التدريس فيها .

وهكذا فإن الإسلام لم يكن ديناً وعقيدة فحسب ، بل هو ثورة اجتماعية مستمرَّة باقية ما بقيت الأرض ومن عليها . ثورة على كل ظلم وفساد ينتشر في الأرض ، ثورة عارمة على كل نفسٍ مريضة ، ثورة لا هوادة فيها على كلِّ مشرك باللَّه الواحد الأحد . فنبيُّ هذه الأمة لم يكن رسولاً للعرب وحدهم فحسب بل كان رسول محبةٍ وسلام للعالمين ، جاهد المشركين وحارب الضَّالين وكان له فيما بعد النصر المؤزَّر ، فارتفعت كلمة أشهد أن لا آله الاَّ اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه في كل بقعة من بقاع الأرض نعمت في ظلِّ الاسلام .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الظرف بالذات أن الاسلام لم يكن دين تعصب مع أنه كان يقوم في العهد الماضي مقام القومية في الزمن الحاضر وكان في منطق العصور الخالية أن يستقل المسلمون بوظائف الدولة الاسلامية كما يستقل المسيحيون بوظائف الدولة المسيحية ، لا حرج عليهم في ذلك ولا لوم ولكن المسلمين رغم ذلك أشركوا المسيحيين واليهود في دولتهم وكانت هذه المشاركة تشتد أحياناً حتى تكاد تطغى . قال آدم ميتز : من الأمور التي تعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الاسلامية ، فكان النصارى هم الذين يحكمون في بلاد الاسلام . كما أن المسلمين قد ضمنوا

الكيان الخاص لكل ديانة ، وكان الذميون أحراراً في إقامة شعائرهم وقد عوملوا بالحسنى . كما أن الخلفاء كانوا يأمرون بصيانة مؤسساتهم وكان للذميين حرية مزاولة المهن والحرف والأعمال وكانت الدولة الاسلامية تبسط حمايتها عليهم ، فإذا تعذر عليها أن تحميهم سقطت عنهم الجزية وأصبحوا في حلٍّ منها ، كما انه لم يسمع عن محمد أنه قتل نصرانياً لأنه لم يسلم أو انه عذّبه وسجنه أو منعه من التعبد على طريقته ، ولم ينقل عنه انه هدم كنيسة ولقد صالح نصارى نجران ، وقال : لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد رسول الله على اموالهم وأنفسهم وملتهم وكل ما تحت أيديهم من قليل او كثير . على انه لابد من الاشارة هنا الى ناحية مهمة وهو أنه اذا كان نفوذ العرب السياسي قد زال نتيجة اسباب عديدة يأتي في طليعتها فساد العقيدة والترف والانقسامات السياسية ، واذا كانت حضارة العرب قد اصبحت في ذمة التاريخ فإن ديانة العرب ولغتهم مازالتا حيتين باقيتين فلغتهم بقيت لغة الجميع من المحيط الى الخليج وديانتهم مازالت تعاليمها السامية مستمرة في تمدين العالم بفضل ما حملته في جوانبها من المكارم .

كانت تحرك العرب في العصور الزاهرة روح الرسالة الاسلامية وفضائلها ومثلها وقد انقلب ذلك في عهد الأتراك الذين بذروا بذور التفرقة بين المسيحية والإسلام وكانوا هم المسؤولين عن ضياع حضارتنا ، وهم المسؤولون عن وجود التعصب الذميم بين النصارى والمسلمين الذي مازلنا حتى الآن نعاني منه اشد العناء في محاربته والقضاء عليه ولهذا يتوجب على المصلحين وذوي النفوذ والسلطان ان يبادروا الى لمّ الشمل وتوحيد الكلمة بين المسيحيين والاسلام في هذا الصراع الذي أخذ يهدد حريتنا واستقلالنا في بلد تآخينا فيه وتحاببنا ، واذا استمر هذا الصراع الذي نعانيه فسوف تذهب ريحنا وسوف يستبد بنا عدونا المتربص عند حدودنا فنفقد استقلالنا وحريتنا .

الفصل الثاني

أهل البيت

جاء في كتاب اللّه الكريم : إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجسَ اهلَ البيت ويطهركم تطهيراً . أجل ان ذلك لفضيلة لهم لا يدانيهم فيها أحد من الناس كافّة . ولا كرامة أنفس من إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من العيوب ذلك التطهير الذي يريده الله سبحانه تعالى لهم بعنايته ، ويستفاد من ذلك عصمتهم فهم بحكم هذه الآية مطهرون من الأرجاس والذنوب ، ولا شكَّ انَّ المراد من هذه الآية اناس مخصوصون وهم الذين كانوا في بيت الرسول (ص) وقد جلَّلهم بكسائه والتحف معهم به فنزلت هذه الآية عليهم وفيهم وهم : علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام .

وقد استغلَّ بعض الهاشميين ومنهم العباسيون ظاهر عموم كلمة أهل البيت لتحقيق مآربهم والوصول الى العروش ، كما قد استغلوا اسم التشيُّع الذي يراد به ولاء عليٍّ واهل البيت بالمعنى العام لا خصوص أهل الكساء والأئمة من أولاد الحسين (ع) . وما عرف الناس التشيع بولاء هؤلاء الأئمة خاصة إلاّ بعد أن خيم السكون على الناس بعد الثلث الاولِ من الدّولة العبّاسيّة حين قرت شقشقة العلويين وثوراتهم ، فتمخّض القول وقتذاك بأهل البيت لهؤلاء السادة الأئمة ـ والشاهد على ذلك أنَّ بني العباس ، ما ارتقوا عروش الملك وحطَّموا دعائم الدَّولة المروانية إلاَّ بذلك الاسم ، زاعمين انهم اصحاب البيت الأقربون الى صاحب الرسالة ، ليستميلوا قلوب الشيعة ، ويتخذوا منهم فعلة لبناء الكيان لسلطانهم وهدم بناء الدَّولة الأمويَّة ، الَّتي

قاومت أهل البيت وشيعتهم طيلة ايامها ، وصبغت وجه الأرض من دمائهم المسفوحة . ولولا الشيعة الّذين نهضوا بهم واتخذوا منهم جسراً عبروا عليه إلى مآربهم لما وصل العباسيون إلى الحكم .

وقد وضح للناس بعد ذلك ، أنّ بني العباس ليسوا من أهل البيت ، حين سلّوا السَّيف عليهم ، وعرف الناس أنّ دعوتهم كانت لتقلب دولة الأمويين باسم الثأر لقتلي الطّفّ، فقد بنوا من جماجم محبي أهل البيت قواعدسلطاتهم حتى أنَّ محمداً وابراهيم[1] اختفيا عندما قبض السفاح على أعنة الحكم ، وما اختفيا إلاَّ لما يعلمانه من سوء نواياه ، والشواهد على ذلك ضغطهم على اهل البيت وشيعتهم .

ولما ملك بنو العباس ظهر مكرهم وغدرهم ، بايعوا ابن الحسن[2] ثم جدوا في طلبه وطلب اخيه للقضاء عليهما . وقد غدروا ببني الحسن كما غدروا بأبي مسلم الخراساني (قتله المنصور) وهو الذي بنى كيان دولتهم . وقتلوا أبا سلمة الخلاَّل ، وحبسوا يعقوب بن داود ، وقتلوا الفضل بن سهل وغدر المنصور بعيسى بن موسى العباسي وعزله عن ولاية العهد ، وولى مكانه ابنه المهدي . وغدر الرشيد بوزرائه البرامكة وغدر المأمون بأخيه الأمين حين عزله عن ولاية العهد والمأمون بالرضا عليه السلام حين سمَّه بعد بيعته بولاية العهد ، وانَّ اعظم غدرٍ منهم ما كان مع بني الحسين (ع) .

ندب العباسيون الناس لطلب الثأر ، وكانت هذه أمضى وسيلة لنيل مأربهم ، فما استقرَّت أقدامهم في حظيرة الملك إلاَّ وراحوا يتتبعون آل الرسول ـ وما انجلت الحوادث عن طرد الأمويين إلاَّ واهل البيت صرعى تلك الحوادث بدلاً من أن ينالوا العطف من بني العباس ، لما حلَّ بهم من فواجع دامية من الأمويين . وهكذا انجلت الغبرة بعد ابتلام العباسيين أنفسهم أزمة الحكم ، فما نسيت الناس حوادث أهل البيت من الأمويين حتى كانت المقارع

على رؤ وسهم من بني العباس من دون رحمة ولا هوادة . والخلاصة أن العلويين ، حين ادركوا ضياع الخلافة من أيديهم لتصبح خلافة عباسية ، تلك التي سقوها بدمائهم وناضلوا طويلاً من أجلها ، انتفضوا على الدولة الجديدة ، وساروا على نفس الطريق الذي سلكوه مع النظام الأموي ، وهو طريق الكفاح والثورة .

جناية اهل البيت :

كان أهل البيت ، أعني علياً والحسن والحسين وابناء الحسين (ع) مثالاً للنبي (ص) في شمائله وفضائله ، وخصاله وفعاله ، فمن أراد علم الرسول كانوا باب مدينته ، ومن أراد منطقه كانوا مظهر فصاحته وبلاغته ، ومن أراد دينه وجدهم مصابيح شريعته . هكذا كان أهل البيت إنْ قستهم الى صاحب البيت . فإن تسابق اهل الفخر الى المكارم كانوا أسبقهم جولة وأبعدهم شوطاً فما من فضيلة إلاَّ وإليهم مآلها .

فإذا كان أهل البيت كذلك فكيف لا يقف معهم بنو أمية موقف العدو اللدود والخصم العنيد ، ذلك هو الحسد بعينه ، كما أن الأمويين كانوا على خصام مع بني هاشم قبل الدعوة الاسلامية في العصر الجاهلي فانتقل الصراع بينهما بعد وفاة الرسول (ص) .

وأما بنو العباس الَّذين ملكوا الأمر وعبروا الجسر الذي أقاموه على أكتاف الشيعة ورفعوا أعمدته من جماجم أولئك السذَّج ، عرفوا إن هدأت الحال سوف يحاسبهم النَاس على الحقِّ وموضعه والخلافة وأهلها . لأنهم لم ينهضوا معهم إلاَّ لهدم عروش أمية وللأخذ بتراث الدِّماء الزكية التي أريقت من غير جرم ، ولبناء خلافة الرضا من آل محمّد ، فقد فتك العباسيون بالرجال الذين عبدوا لهم السبيل ، ووطّدوا لهم الطريق لاعتلاء اسرة الحكم ، لذلك ضيقوا على أبناء عليّ ووضعوا عليهم العيون والرصد ، وكموا أفواه الشيعة بالارهاب خشية من الحساب . فما جناية أبناء علي لديهم إلاَّ أنهم أهل حق ومقام وأهل بيعة وخلافة بالقرابة أو بالنص أو بالفضيلة .

وما الضّربات التي انزلوها بالعلويين إلاَّ لأنهم أجدر بالخلافة ، وأن العباسيين لا يأمنون من وثباتهم ، فما برح لهؤلاء مكانة سامية بين الناس - والفرق بين الأمويين والعباسيين هو أن الّذي دعا الأمويين لحرب الهاشميين شيئان : الانتقام من الرسول والتسلق للزعامة ، والذي دعا العباسيين هو نيل العروش والذَّب عنها فقط .

قتل بنو امية الحسين بن علي في كربلاء ومعه الصفوة المختارة من أهل بيته والنخبة الصالحة من أصحابه ، حين وثب عليهم منكراً تلاعبهم بالدين حسب الأهواء ، وقتل بنو العباس الحسين بن علي بن الحسن بفخ ومعه رهط من العلويين عزَّ على وجه الأرض نظيرهم حين نهض منكراً عليهم أعمالهم التي اغضبوا بها الدين وأهله في زمن الخليفة الهادي .

سمَّ بنو امية من الأئمة الامام الحسن بن علي بن ابي طالب ، وسمَّ بنو العباس الامامين الكاظم والرضا عليهما السلام .

أرسل هشام بن عبد الملك على الباقر والصادق إلى الشام لينال منهما سوءاً ، ولما وصلا أكرمهما وسرَّحهما واعادهما الى المدينة حذراً من أن يفتتن بهما الناس . واما بنو العباس فلم يتركوا إماما يقر في بيته : ارسل السفّاح خلف الصادق وأرسل المنصور خلفه مرات عديدة ، وارسل الرشيد خلف الكاظم وحبسه ثمَّ اطلقه ، ثمَّ ارسل وراءه مرة أخرى فلم يخرج من السجن الاّ وهو مسموم . وأرسل المأمون خلف الرضا الى طوس ، فما عاد إلى أهله بل عاجله بالسمِّ وهو في خراسان وأرسل خلف الجواد ثمَّ سرَّحه ، وارسل المعتصم خلف ابي جعفر الجواد وحبسه وما أطلقه من السجن حتى دبر الحيلة في قتله . وارسل المتوكل خلف أبي الحسن الهادي وجدَّ في النيل من كرامته إلى أن هلك وبقي ولده ابو محمد الحسن في سامرّاء ، لا يأذنون له بالاياب إلى المدينة ، يحبسونه مرة ويطلقونه أخرى إلى أن قضى في زمن المعتمد الذي صار يبحث عن ابنه أبي القاسم الذي كان عمره خمس سنين يريد أن يقبض عليه فتغيب من جورهم وفتكهم .

فلا بدع إذن ، لقد وضح للعالم من تلك المواقف المشهورة أنّ الحرب بين أهل البيت وبين أعدائهم هي من نوع الحرب بين الفضيلة والرذيلة وإن الذين يريدون الحياة لا يستطيعون أن ينالوها الاّ بمحاربة اهل البيت ومحوهم من صفحة الوجود ، لقد أراد الأمويون والعباسيون الحياة فكتب لهم الممات ، أرادوا محو الفضيلة ولكنَّ اللّه سبحانه نشرها فظلت حية خالدة إلى الأبد ، فأهل البيت هم أهل دين وأرباب فضائل ، فلن ترتقى سدَّة رئاسة وأهل البيت اكفاؤها فقد خلقت لهم وخلقوا لها تعرفهم الأمة وتقدرهم حقَّ قدرهم فهم شموسها التي تعطي الدفء وحرارة الايمان للقلوب الواجفة ، وتبعث النور في النفوس الحائرة .



الفصل الثالث

ائمة الشيعة

إن النبيَّ محمداً (ص) ذكر الأئمة تفصيلاً بأسمائهم ، كما ورد في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال لما نزل قوله تعالى : « يا أيها الَّذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكُم . » قلت : يارسول الله ، عرفنا الله فأطعناه ، وعرفناك فأطعناك ، فمن أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ؟ قال : هم خلفائي يا جابر وأولياء الأمر بعدي ، أولهم أخي علي ثمَّ من بعده الحسن ثمَّ الحسين ، ثمَّ عليُّ بن الحسين ، ثمَّ محمد بن علي وستدركه يا جابر ، فإذا ادركته فاقرأه مني السلام ، ثمَّ جعفر بن محمد ، ثمَّ موسى بن جعفر ، ثمَّ عليُّ بن موسى (الرضا) ثمَّ محمد بن علي ، ثمَّ عليُّ بن محمّد ثم الحسن بن عليّ ، ثمَّ محمد بن الحسن ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

وقد ذكرهم النبيُّ **اجمالاً** فمن ذلك قوله للحسين هذا ولدي الحسين إمام ابن امام أخو امام أبو ائمة تسعة تاسعهم قائمهم ، كما قال (ص) إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ومن الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، ومن الليالي ليلة القدر ، واختار من الناس الأنبياء ، واختار من الأنبياء الرسل ، واختارني من الرسل واختار مني علياً واختار من عليٍّ الحسن والحسين واختار من الحسين الأوصياء وهم تسعة من ولده يمنعون عن هذا الدين تحريف الضالّين وانتحال **المبطلين** وتأويل الجاهلين .

وقد ثبت عند الشيعة بالنقل المتواتر خلفاً عن سلف إمامة كل واحد منهم سلام الله عليهم أجمعين .

عصمة الامام

من شروط الامام أن يكون معصوماً وقد تعينت العصمة لهؤلاء الأئمة حتى أن الكمالات النفسانية والبدنية والخارجية بأجمعها كانت موجودة في كل واحد منهم ، وهذا يدل على استحقاق الرئاسة لهم لأنهم أفضل أهل زمانهم وهكذا اصبحت قضية الامامة ظاهرة كالشمس .

حاجة الناس الى إمام :

قال رسول الله (ص) : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية . ولو كان العقل وحده عاصماً كافياً والايمان بمجرده هادياً لما احتاج الى إمام أصلاً لا معصوم ولا غير معصوم ولا الى ارسال الأنبياء في كل فترة ، بل كانت تكفينا نبوة أبينا آدم عليه السلام . فالناس يحتاجون إلى امام معصوم وذلك من مقضيات حكمة الله في ختم النبوة ، ولم يكن محمد خاتم النبيين الا ليكون اوصياؤه خاتمة الأوصياء ، وما المؤتمن على الأمة بعد النبي محمد الا الامام المعصوم ، لأن الكتاب الكريم لم يتكفل ببيان جميع تفاصيل الأحكام فالامام المعصوم يفصل تلك الأحكام ويعللها ويبينها للناس ، فالمبلغون بالفتح منهم من حفظ ومنهم من نسيَ وضيَّع ومنهم من غير كما يشهد بذلك اختلاف الأمة المستمر من الصدر الاول الى اليوم ، وما بعد اليوم فدعوى الحاجة الى إمام معصوم ليست طعناً في أصل الدين كما يقول المتجنون على المذهب الشيعي بل هي دفاع عنه .

وصية النبي محمد (ص)

قال النبي محمد (ص) : ان الأئمة من قريش ، يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش أو من بني هاشم ، من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية . اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض -

إن الحديث الأول والثاني يدلان على أن الامام لا يكون إلا قريشيا وعليه

إجماع المسلمين . والحديث الثالث يدل على أنه لابدّ أن يوجد واحد منهم في كل زمان . والحديث الرابع يدل على عصمة العترة ، فالعترة لا تفارق الكتاب حتى ورود الحوض وليس المراد جميع العترة لوقوع الذنوب من بعضها .

تسمية الشيعة باسم الصادق دون غيره :

لقد تسمى مذهب الشيعة باسم جعفر الصادق دون غيره من الأئمة وذلك لأن الامام الصادق (ع) قد ورث العلم الجمّ عن الأئمة الذين سبقوه ولا سيّما علوم السجّاد عليٍّ بن الحسين زين العابدين الذي احاطت به قيود الأسر والظلم اليزيدي ، وسياج حيف بني مروان ، وان كان ذلك سداً منيعاً حائلاً بين علوم السجّاد واهل العالم . فقد بثّ العلوم الالّهية الى زوايا المعابد مبتهلاً الى الله ناشراً علومه بين القنوت والدعاء والصلاة والتسبيحات ومن ذلك كانت الصحيفة السجادية التي يعبر عنها (بزبور آل محمد) التي هي مجموعة العلوم الآلية والنظرية والقوانين الطبيعية والأحكام الشرعية .

ادعية الصحيفة السجادية

بعد واقعة الطف المحزنة ، وتملك بني أمية ناصية أمر الأمة الاسلامية أوغلوا في الاستبداد وولغوا في الدماء ، واستهتروا في تعاليم الدين - فبقي الامام زين العابدين وسيِّد الساجدين عليه السلام جليس داره محزوناً ثاكلاً لا يقربه أحد ولا يستطيع أن يفضي الى الناس بما يجب عليهم وما ينبغي لهم . فاضطر أن يتخذ أسلوب الدعاء الذي هو أحد الطرق التعليمية لتهذيب النفوس ذريعة لنشر تعاليم القرآن وآداب الاسلام وطريقة أهل البيت ولتلقين الناس روحية الدين والزهد ، وما يجب من تهذيب النفوس والأخلاق ، وهذه طريقة مبتكرة له في التلقين لا تحوم حولها شائبة ولا شبهة المطاردين له ولا تقوم بها عليه الحجة لهم . وجاءت في اسلوبها ومراميها في اعلى اساليب الأدب العربي ، وفي اسمى مرامي الدين الحنيف وأدق أسرار النبوة والتوحيد ، وأصح طريقة لتعليم الأخلاق المحمدية والآداب الاسلامية فهي تعليم للدين

والأخلاق في اسلوب الدعاء أو دعاء في أسلوب تعليم الدين والأخلاق . وهي بحق بعد القرآن ونهج البلاغة من أعلى اساليب البيان العربي وأرقى مناهل الفلسفة في الآلهيات والأخلاقيات وإليك بعض ما جاء منها :

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا اخر يكون بعده ، الذي قصرت عن رؤ يته ابصار الناظرين ، وعجزت عن نعمته أوهام الواصفين ، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً ، واخترعهم على مشيئته اختراعاً .

اللَّهم إن احداً لا يبلغ من شكرك غاية الا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً ، ولا يبلغ مبلغاً من طاعتك ، وإن اجتهد الاّ كان مقصراً دون استحقاقك بفضلك . فأشكر عبادك عاجز عن شكرك واعبدهم مقصر عن طاعتك .

حجتك قائمة ، وسلطانك ثابت لا يزول ، فالويل الدائم لمن جنح عنك ، والخيبة الخاذلة لمن خاب منك ، والشقاء الأشقى لمن اغتر بك . ما أكثر تصرفه في عذابك ! وما اطول تردده في عقابك ! وما ابعد غايته من الفرج ! وما اقطنه من سهولة المخرج ! عدلاً من قضائك لا تجور فيه ، وانصافاً من حكمك لا تحيف عليه ، فقد ظاهرت الحجج وابليت الأعذار اللّهم صلِّ على محمد وآل محمد ومتعني بهدىً صالح لا أستبدل به وطريقة حق حتى لا أزيغ عنه ونية رشد لا أشك فيها .

اللَّهم إني أخلصت بانقطاعي إليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج الى رفدك ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك . ورأيت أن طلب المحتاج الى المحتاج سفهٌ من رأيه وضلة من عقله .

اللّهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أسدي الي فلم أشكره ، ومن مسيء اعتذر الي فلم اعذره ، ومن ذي فاقة سألني ولم أؤثره ، ومن حقٍّ ذي حقٍّ لزمني لمؤمنٍ فلم أوفره ، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم استره .

هذا بعض ما ورد في الصحيفة السجادية التي استهلّها عليه السلام بالتعريف باللّه تعالى وعظمته وقدرته ، وثّم بين فضله على العبد وعجز العبد عن أداء حقه ، ثم عرف بالثواب والعقاب والجنة والنار ، ثّم أوحى الى الداعي بلزوم الترفع عن الناس وعدم التذلل لهم والاّ يضع حاجته عند أحدٍ غير الله . كما علّم الناس وجوب مراعاة حقوق الآخرين ومعاونتهم والشفقة والرأفة من بعضهم لبعض والايثار فيما بينهم .

لذلك جاءت الصحيفة السجادية غاية في الابداع ، ونموذجاً عالياً من الأدب العربي وتوجيهاً قيماً للانسان المترفع عن الدنايا البعيد عن الأنانية .

إن الامام السجّاد أودع أسرار علمه باقر العلوم ابنه محمد الباقر الذي سلّم عليه رسول اللّه مع جابر بن عبد الله الأنصاري ، وقال : انه يبقر العلم بقراً ، وقد نشر العلوم أكثر مما استطاع عليه آباؤه ، حيث أن الدولة المروانية كانت قد شغلها الترف ونشوب الفتن عن ان تتعرض للباقر كما تعرضت لأبيه زين العابدين ـ ولكنهم كانوا بين الحين والحين يوجهُون اليه الضربات والأذى وينقلونه من المدينة الى الشام مكرهاً . ولهذا لم ينشر من علومه الا النزر القليل ، وقد أودع بقية علومه ابنه جعفر الصادق ، وقد اتيح للصادق ما لم يتح لآبائه وابنائه في الفترة التي نشبت بها الفتن في آخر دولة بني مروان ، واوائل دولة بني العباس ، وكان لانتشار دعوة الصادق (ع) وتسمية المذهب باسمه عوامل اهمها خمسة تشترك الدولة المروانية والعباسية بواحد منها وهو نشوب الفتن والحروب بينهما ، وتختص الدولة المروانية باثنين احدهما انشغالها بترفها وملذاتها ، وثانيهما ما آلت اليه من الضّعف والانحطاط في مملكتها ، وتختص الدولة العباسية باثنين آخرين الأول حداثتها والثاني قيامها على الأخذ بالثأر لأهل البيت .

فلا بد والحالة هذه من أن تتيح للصادق أن ينشر علومه ودعوته لترضي العلويين اذ هو سّيد اهل البيت في عصره وحامل لواء التشيع ومجدِّد العزيمة والتصميم لأتباعه المؤمنين بإمامته الذين حملوا الشعلة من جيل الى جيل .

لقد خلفه من بعده ابنه الامام موسى الكاظم (ع) وكان عالماً كبيراً ، غير أن قوة الرشيد وحرصه على الخلافة ، وشدّة جبروته ساقته على حبس ابن عمه الكاظم حتى مات في السجن مسموماً . وقد خلفه ابنه الامام عليٌّ الرضا الذي كان قد انتدبه المأمون لولاية العهد ، الا أن المأمون كان يقيده ولا يدعه يتكلم الاَّ بما يريد . وقد ناظر الرضا العلماء اليهود والنصارى والمجوس والطبيعيين والقدرية والمرجئة . ونجد كثيراً من علومه وحكمه في كتابه الرسالة الذهبية في الطب وغير ذلك من أخباره المروية في كتب الحديث . وقد فتح أبواب الاستدلال بالعلوم الدينية فقويت شوكة الدين واستخدم العلوم المادية في خدمة الدين . وكذلك شأن الأئمة من بعده مع الخلفاء شأنه مع المأمون . فالإمام محمد الجواد ابنه كان في قيد مع المعتصم والإمام عليٍّ الهادي بن الجواد في حصار مع المتوكل والامام الحسن العسكري في رقابة المعتمد . فلم يتمكنوا من نشر علومهم كاملة الاَّ الشيء اليسير وما ناسب الخلفاء .

وعلى الجملة لم تنبسط الأمور لأحد منهم كما انبسطت للإمام الصادق ، وقد نسب اليه المذهب مع انهم كلهم لسان صدق يستقون من ينبوع واحد ، وهم فرع الشجرة النبوية والدوحة المحمدية وائمة الهدى للشيعة ولكل من رأى في التشيع نور الحق والهداية .

الباب الثاني

الشيعة في القرآن الكريم
وآحاديث الرسول



الفصل الرابع
من هم الشيعة

قال الشيخ الانطاكي الحلبي : الشيعة هم الطائفة الحقة المحقة والخيرة من خلق الله ، التي تمسكت بولاء الله ورسوله والأئمة الأطهار من أهل بيته وعرفت حقَّ ائمتها حقَّ المعرفة .

فالشيعة اذن هي الطائفة المختارة ، التي يؤمن اتباعها برسالة محمد وبولاية الامام عليٍّ بن ابي طالب ، وشيعة عليّ هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والخمس ويصومون ويحجون ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

اخذ الشيعة بعد النبي احكام الدين من الكتاب والسّنة النبوية ، فالمجتهد منهم يأخذ بنصوص آيات الأحكام منه او بماله ظاهر كالنص وأمّا ما يحتاج إلى التفسير فيتوقف فيه حتى يرد فيه تفسير من العترة الطاهرة المعصومين .

وأما السنة النبوية فيأخذ المجتهد بصحاح احاديث النبي والأئمة اهل البيت وافعالهم وتقريرهم على ما هو مرسوم في الأصول ، وغير المجتهد منهم إما ان يحتاط في احكامه او يقلِّد مجتهداً عدلاً قد استكمل شروط التقليد المذكورة في كتبهم ، اهمها أن يكون كما ورد في الخبر الصحيح عن الامام جعفر الصادق (ع) .

وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر

مولاه فللعوام أن يقلدوه .

وقد ورد في القرآن الكريم آيات ثم جملة من الأحاديث النبـوية تثبـت صحة مدعاهم .

في القرآن الكريم :

(١) قوله تعالى في آية الولاية : « انما وليكم الله ورسوله والـذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤ تون الزكاة وهم راكعون . » اتفق جميع أهل البيت وعلماء التفسير والحديث من الشيعة وكثير من مفسِّري السنة أن هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب عندما تصدق بخاتمه على المسكين وهو يصلي في مسجد رسول الله . حتى أن ذلك كان مسلَّماً عند أصحاب النبـي والتـابعين وأكثرية الرواة الساحقة حتى أن الشعراء السابقين قد تغنوا بذلك ونظموه في مآثر علي عليه السلام .

(٢) قوله تعالى في آية التـطهير : « انمـا يريد الله ليذهـب عنـكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » ففي تفاسير الشيعة أن هذه الآية نزلت في اهل البيت .

(٣) قوله تعالى في آية التبليغ : « يا أيها الرسول بلِّغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس . »

إنَّ الله سبحانه تعالى أمر النبي في غدير خم تبليغ هذه الآية الكريمة وقد اجمع المفسرون من الشيعة والسنة على انها نزلت في شأن علي في تحقيق أمر الإمامة ، وأنها نص في الخلافة الآلهية العظمى والزعامة الدينية الكبرى . وقد أخذ النبي بعضد عليٍّ فرفعها حتى نظر الناس الى بياض إبطي الرسول ، ثمَّ قال : أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى يا رسول الله فقال : اللهم من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللَّهم وال من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأبغض من أبغضه ، وأعن من أعانه ،

وأحب من أحبَّه ،وأعز من أعزَّه .

وقد قال حسان بن ثابت في ذلك شعراً :

يناديهمُ يوم الغدير نبيُّهم	بخمٍّ واسْمِع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولم ترَ منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا عليُّ فإنني	رضيتك من بعدي اماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللَّهم والِ وليه	وكن للّذي عادَى علياً معاديا

في أحاديث الرسول (ص)

لقد ورد في أحاديث النبي ما يثبت احقية ولاية علي بن ابي طالب (ع) من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه كما جاء آنفاً .

حديث الدار :

هذا أخي ووزيري وَوصيي وخليفتي من بعدي . وقد اعترف بهذا الحديث أهل السير والتاريخ وأئمة الحديث من الفريقين في صحاحهم ومسانيدهم .

حديث الثقلين :

وهو قول النبي (ص) : إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً . إن هذا الحديث بلغ من الشهرة حدّاً كبيراً . فقد رواه الفريقان وعرفه الخاص والعام .

حديث المنزلة :

وهو قول النبي لعلي : أما ترضى يا عليُّ أن تكون منّي بمنزلة هرون من موسى ؟ إلا أنه لا نبيَّ بعدي ؟.. لقد اجمع المسلمون على صحة هذا الحديث الشريف وأخرجوه في صحاحهم ومسانيدهم. وسبب ورود هذا الحديث المبارك أن النبيَّ (ص) لما خرج إلى غزوة تبوك استخلف علياً في المدينة ، فقال علي : ما كنت أريد أن تخرج في وجه إلا وأنا معك ، فقال : أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟

حديث السفينة :

قول النبي : مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق . فقد أجمع علماء الاسلام قاطبة على صحة هذا الحديث الشريف .

حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها :

إن هذا الحديث من الأحاديث الثابتة لدى جميع علماء الإسلام من حفاظهم ومؤرخيهم ؛ ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، وذكره الحاكم في مستدركه ، وذكره الطبري في الرياض النظرة وكذلك الشافعي ، وذكره ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج .

لمَ لمْ يحتج الإمام علي يوم السقيفة بنصوص الخلافة والوصاية ؟

إن الناس يعلمون أن الامام علياً وسائر أقاربه من بني هاشم وغيرهم ، لم يشهدوا البيعة ، ولا دخلوا السقيفة وذلك لأنهم كانوا منصرفين إلى خطْبهم

---

(١) سماحة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه المراجعات ص ٣٠١ .

الفادح بوفاة الرسول (ص) . لقد قاموا بالواجب من تجهيزه ولما واروه في ضريحه المقدَّس كان أهل السقيفة قد أبرموا البيعة لأبي بكر ، واجمعوا على منع كل قول أو فعل يوهن هذه البيعة . ولذلك لم يتسنَّ له ولا لغيره الاحتجاج بعد أن أخذ أولو الأمر النهي بالحزم .

كما أن الامام علياً كان يرى يومذاك في الاحتجاج فتنة ما بعدها فتنة ، لانه كان يخشى أن يذهب الاسلام وتتفرق الكلمة حيث إن الفتن العمياء أخذت تنذر بانتفاض الجزيرة وانقلاب العرب واجتياح الاسلام فالأعراب منافقون لأنهم مردوا على ذلك وقويت شوكتهم بفقد سيد الاسلام فمسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد الأفَّاك وسجاح بنت الحرث الدجالة وأصحابهم الهمج الرعاع قائمون لمحق الاسلام وسحق المسلمين ، والرومان الأكاسرة والقياصرة كانوا للمسلمين بالمرصاد . كان هؤلاء يريدون أن ينقضوا على الاسلام ليستأصلوا شأفته وفرحوا كثيراً بوفاة الرسول الأعظم (ص) . ووجدوا في ذلك فرصة سانحة ليقوضوا دعائم الدولة الفتية قبل أن يعود الاسلام الى قوته وانتظامه ، فوقف الامام علي بين هذين الخطرين ، فقدَّم حقه قرباناً لحياة المسلمين ولم شمل الجماعة ، فقعد في بيته وجمع بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من خلافة المسلمين .

لقد رأى الامام أن حفظ الاسلام ورد عادية أعدائه موقوفان في تلك الأيام على الموادعة والمسالمة ، فآثر مسالمة القائمين في الأمر احتفاظاً بالأمة ، وقياماً بالواجب شرطاً وعقلاً من تقديم الأهم في مقام التعارض على المهم . فالظروف في ذلك الوقت لم تسمح بامتشاق الحسام ومحاربة مغتصبي الخلافة حتى لا تتفرق الكلمة ولا ينفرط عقد الجماعة .

الامام علي (ع)

يتضح مما تقدم أن الخلافة من بعد الرسول الأعظم هي للامام عليٍّ بن ابي طالب ، وهو أولى من غيره من الصحابة بها وذلك لأن الامام علياً أعلم

الصحابة وأشجعهم وازهدهم وأعبدهم وأشدَّهم سياسة وأرجحهم عقلاً وأسداهم رأياً وأولهم إسلاماً وأكثرهم جهاداً ، لقد امتاز على الصحابة بفضائل لم يشاركه فيها أحد ، لقد سبق الناس الى الجهاد في سبيل الله ، وحامى عن الدين ، وقاتل بين يدي الرسول وواساه وفداه بنفسه ، وشاركه في كل شدَّة ومحنة من طفولته الى وفاة الرسول (ص) ، كما أن الاسلام لم يقم الاّ بسيفه . فالرسول (ص) هو أول من وضع بذر التشيع ، فقد روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير : « أولئك هم خير البرية » في عليٍّ : والذي نفسي بيده هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت الآية : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية . » .

ميزة الامام :

امتاز الامام علي في نواحي التفكير فعمد الى اغمض المطالب وأدقها فيما وراء الطبيعة وأخفاها في تحديد خطرات النفس ، وجلاها من فوق منبره على مسامع أهل العراق بصورة مشرقة تستهوي القلوب وتستميل الأفئدة قال عنه ابن ابي الحديد : « غلام من أبناء عرب مكة نشأ بين أهله لم يخالط الحكماء وخرج اعرف بالحكمة ودقائق العلوم الالّهية من أرسطو وأفلاطون ، ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية لأن قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثلِ ذلك وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط . » إن حياته كانت صورة صادقة لتفكيره ، ومقياساً منسجماً مع آرائه ، لقد أعرض عن لذائذ الحياة وكان للمسلمين خليفة وهو يحيا حياة متواضعة هادئة متبلغة باليسر ، لا يمتد طرفه الى مباهج الحياة التي يتنافس فيها الرؤساء ويتهالكون عليها تهالكاً معيباً ، فلولا متع الحياة ، ما طلبت رئاسة ولا سعى ساعٍ إلى زعامة ما عدا علياً ، فإنه لم تخدعه بيضاء ولا صفراء ، ولا غرته الدنيا بمفاتنها .

واليك نبذة عن حسن معاملته وتصرفه :

لما رفرفت ألوية النصر على عليٍّ بن ابي طالب وباد الناس من حول

الجمل الأنكد[1] . نادى منادي علي في القوم : ألا لا يُجهز على جريح ، ولا يُتبع مُوَل ولا يُطعن في وجه مُدبر ، ولا يُقتل أسير ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن .

ثم مضى علي يتصفَّح وجوه القتلى وينفض التراب بيده عن وجوه أصحابه الذين حاربوه وعن وجوه أبنائهم ، ويرثي لهم فزعاً متململاً ويتمنى صارخاً بأمنيته صادقاً ، ويمضي باكياً مشفقاً يقول : شفيت نفسي وجدعت أنفي ، حتى اذا انتهى إلى أم المؤمنين عائشة وقف بها جليلاً مهيباً قال لها يا حميراء ، ألم تنتهي عن هذا المسير ؟ فقالت عائشة يا ابن ابي طالب قدرتَ فأسجح ، فقال لها : غفر اللّه لك يا أمة فقالت ولك ، ما أردت إلاَّ الاصلاح ، فقال أمير المؤمنين : اخرجي إلى المدينة وارجعي الى بيتك الذي أمرك رسول الله أن تقري فيه ، فقالت عائشة ولم تتردّد ، إني أفعل .

وقد سير بعائشة إلى بيتها في المدينة في كوكبة من جند النساء ، لم يسيَّر مثلها في الاسلام ولا العرب من قبل في أربعين فتاة من ذوات الفضل والشرف من بنات عبد القيس ، قد لبسن ملابس الجند من الرجال ، وأمرهنَّ أمير المؤمنين أن يمضين ثم يعدن اذا وافين بعائشة المدينة واستقرت في بيتها كما أمرها رسول الله ـ قالت عائشة هتك الله سترك يا علي كما هتكت ستري ، عندها قالت النسوة ، إن علياً لم يهتك سترك وقد أرسلك مع نساء ونحن نساء فكشفن عن حالهنَّ .

يظهر من ذلك أن الامام علياً لم يُطغه الظفر ولم يُنسه أدب الانتصار وعائشة لم تنسها الهزيمة ندماً على الخطأ وحسرة على الغفلة ، وقد حافظ عليٌّ على عائشة كما رأينا وأرسلها معززة مكرمة إلى مدينة الرسول وهي التي ألَّبت عليه الخصوم ، وحشدت عليه الجيوش ومع ذلك لم تلهه نشوة النصر على

---

[1] ـ الذي وصف جمل عائشة بالانكد هو ابو العلاء المعري في قصيدة من رسالة الغفران .

والجمل الأنكد شاهدته بئس نتيج الناقة العنتريس

العفو والصفح عن الذنب .

فأين هذه الحادثة من حادثة الطف تلك التي سبى بنو امّية فيها بنات رسول اللّه بعدما قتلوا الامام الحسين (ع) ، إن بني امية داسوا بخيولهم أجساد القتلى من أصحاب الحسين وآل بيته ، وسلبوا النساء وسبوهنّ وطافوا بهن في البلاد .

وكان الامام الحسين بن علي (ع) قد ارسل ابن عمه مسلم بن عقيل بعد إلحاح كثيرين من أهل الكوفة الذين ساءهم أن يروا يزيد بن معاوية خليفة على المسلمين ، وقد التف حول مسلم بن عقيل جميع أهل الكوفة كبارهم وصغارهم وأخذ يدعو للامام الحسين وقد انقطعت أخبار مسلم هذا عن ابن عمه الحسين (ع) الذي قتل في الكوفة .

فخرج الامام الحسين (ع) الى الكوفة قادماً من مكة مع أهل بيته وعدد من أصحابه وما أن وصل إلى مكان يسمى بكربلاء ، حدث ما لم يكن بالحسبان فقد تغير القوم الذين دعوه إليهم كي يقيم بينهم العدل ويحكم بالقسطاس ويعمل بسنة الرسول محمد (ص) وذلك لأن عبيد الله بن زياد كان قد دخل الكوفة متنكراً مع أصحابه وأنصاره واستقبله أهل الكوفة قائلين اهلاً بابن بنت الرسول ، فقال أحد اصحابه تنحوا عن الأمير إنه عبيد الله بن زياد وليس هو من تزعمون ، وعندها دخل عبيد الله بن زياد مسجد الكوفة وبدأ يأخذ البيعة ليزيد بن معاوية وانقلب القوم على الحسين وأرسل عبيد الله بن زياد جيشاً عرمرماً لمجابهة الحسين (ع) بقيادة عمر بن سعد الذي التقى بأصحاب الحسين في كربلاء ، وجرت معركة الطف . تلك المعركة التي كانت بين الباطل والحق ، كانت حدّاً فاصلاً بين الكفر والايمان ، الباطل والكفر المتمثلان بعمر بن سعد وجيشه والحق والايمان المتمثلان بالحسين وأهله وأصحابه . وقتل أصحاب الحسين وأهل بيته كما قتل الحسين في معركة غير متكافئة لأن الأمويين حشدوا لتلك المعركة جيوشاً جرارة بعد أن فتح عبيد الله بن زياد الخزينة مبذراً الأموال لمن التحق معه لمقاتلة الجسين (ع) -

وكانت معركة كربلاء سبباً مباشراً لظهور حركة التوابين الذين ندموا لعدم نصرتهم للامام الحسين ووضعوا اول معولٍ في هدم أركان الدولة الأموية . فقد شعر التوابون بفداحة الذنب لموقفهم المتخاذل وتقاعسهم وتخليهم عن الحسين وتركه وحيداً أمام مصيره . وقد ساعدهم على التحرك والمبادرة بالثورة موت يزيد بن معاوية الذي أدى الى انقسام البيت الأموي وبعثرة القوى المساندة للدولة .

وقد تزعَّم هذه الحركة خمسة من رؤوس الشيعة : سليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجية الفزاري وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي وعبد الله بن وال التميمي ورفاعة بن شداد البجلي ، فصمم هؤلاء على الخروج على الأمويين فاتجهوا الى قبر الحسين ومن ثم اتخذوا طريق الشام وذلك لمحاسبة المسؤول الأول عن قتل الحسين وهو النظام الأموي ، ففي مطلع ربيع الأول عام ٦٥هـ - ٦٨٥ م خرج سليمان بن صرد مع أربعة آلاف من أصحابه إلى الأنبار ، وفي تلك الأثناء توفي مروان وخلفه ابنه عبد الملك الذي اقر عبيد الله بن زياد على منصبه ، فسار هذا لملاقاة التوابين وقد اندلعت الحرب بينهما وهزم التوابون وقتل زعيمهم سليمان بن صرد وأسدل الستار على فصل جديد من تاريخ المقاومة الشيعية ضد الأمويين .

وبعد هزيمة التوابين حلم المختار بن ابي عبيد الثقفي بتزعم الشيعة لأنه بات الشخصية البديلة التي اتجه اليها اهل الكوفة وكان قد بث دعوته لأجل الأخذ بثأر الحسين والدعوة لآل البيت غير ان هذه الدعوة وان لاقت تأييداً واسعاً في الأوساط الشعبية فإن المقاومة ضدها كانت عنيفة من جانب أشراف الكوفة الذين رفضوا تصديق زعمه بأنه موفد من قبل ابن الحنفيَّة أخ الامام الحسين . ولكنه لم يأبه لهذه المعارضة فقد قويت شوكته والتف حوله نفر كبير من السكان وقد سيطر على الكوفة ، ووجه ابراهيم بن الأشتر لمقاتلة عبيد الله بن زياد وقد هزم الجيش الأموي وقتل قائده بالقرب من الموصل ، كما ان رجاله اخذوا يلاحقون المسؤولين الذين شاركوا في موقعة كربلاء وبذلك أصبح المختار

الشخصية اللامعة التي أكبرها الشيعة في العراق وخارجه . إلا ان الأشـراف في الكوفة ثار وا على سياسة المختار الذي قضى على امتيازاتهم فقد قرب الموالي وعظم نفوذهم . وقد تمرد عليه الأشراف فقضى بسهولة على تمردهم . ولكن مجده السياسي لم يدم طويلاً فسرعان ما أخذت شمسه بالأفـول بعد ان أخضع سائر منطقة الجزيرة بواسطة قائده ابن الأشتر . وذلك ان عبد الله بن الزبير قد ارسل اخاه مصعب للقضاء على ثورة المختار فعبأ مصعب الجيوش وجـرت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بهزيمة المختار الذي تراجع الى الكوفة وقاتل قتالاً بطولياً الى ان لقي مصرعـه - فثورته لم تكن حركة سياسية شاملة بل كانت حركة اقليمية ضيقه تغلغلت باطار ديني .

الفصل الخامس

ظهور الشيعة

ظهرت بعد وفاة النبي محمد (ص) مشاكل سياسية كثيرة ، نشأت عن الاختلافات الحزبية ، وقد لجأ كل حزب الى الدين يتخذ منه سلاحاً لدعم حجته وتأييد وجهة نظره ، فكان طبيعياً بعد أن اجتمعت السلطتان الدينية والزمنية في يد واحدة أن يكون لكل مشكلة وجهان : ديني وزمني ، وأن يختلف الناس حولها ، وأن يتشيع فريق منهم لوجهة نظر معينة ، وأن ينبري لهم آخرون فيخالفوهم في الرأي ويقارعوهم الحجة بالحجة . ولعلَّ أكثر المشاكل التي اثارت كثيراً من الجدل ، وأججت الخلافات هي مشكلة الخلافة والامامة ، ومشكلة الجبر والاختيار . وقد ادى قيام هذا الصراع القائم حولها ، إلى نشوء الفرق وأول هذه الفرق : الشيعة وفروعها .

الشيعة

يرجع اساس ظهور الشيعة إلى مشكلة الخلافة ، لقد قامت فئة من المسلمين ترى أن الخلافة بعد الرسول يجب أن تكون لعلي بن ابي طالب ، ثم لذريته من بعده وأن علياً أولى بالخلافة من ابي بكر وعمر وعثمان لأسباب منها :

١ ـ أن علياً هو ابن عم الرسول ، وأول من آمن به من الصبيان وقد أبلى بلاء حسناً في نصرة الدين ، و الذود عن حياضه ، كما اشتهر بالشجاعة والعلم والورع والتقوى والحكمة وسائر الصفات التي تجعله كفؤاً لتولي رئاسة

المسلمين كما رأينا في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

٢ ـ أنه صهر الرسول .

٣ ـ إن النبي محمداً لم يترك ولداً ذكراً يتولى أمور المسلمين بعده إذ يجب أن تكون الخلافة في أولاد ابنته فاطمة الزهراء .

لم يكن للشيعة في أول الأمر من القوة ما يجعلها قادرة على فرض وجهة نظرها ، وإيصال صاحب الحق إلى حقه ، ولما اشتدَّ ساعدها وقويت شوكتها ولا سيما بعد أن نقم الناس على عثمان بن عفان رفعت علياً الى منصب الخلافة ، غير أن علياً لم يقدَّر له أن يستمر في الخلافة لأن معاوية بن أبي سفيان اخذ يناوئه ويؤلِّب الناس عليه زاعماً أنَّ علياً هو الذي قتل عثمان ، فأخذ يطالب بدمه ـ ولقد استطاع معاوية ان يظهر على عليٍّ وبنيه وينتزع الخلافة منه وينقلها الى الأمويين ـ وكان ما كان من الحروب التي دارت بين علي ومعاوية والحيل والدهاء والمكر التي استعملها معاوية ليبقى هو الخليفة للمسلمين .

ولقد كثر المتشيعون وانتشرت حركتهم انتشاراً عظيماً كما تنتشر النار في الهشيم ويرجع ذلك الى عاملين : الأول قناعة الكثيرين بأحقية علي وذريته ، والثاني كره الكثيرين للحكم الأموي الذي جر عليهم المظالم الكثيرة .

فالموالي وقفوا موقفاً عدائياً من الأمويين لأنهم كرهوا ارستقراطيتهم ومعاملتهم التي تختلف عن معاملتهم للعنصر العربي .

اما الفرس ، فكانوا يميلون الى البيت العلوي انسياقاً مع تقاليدهم في تنظيم البيت المالك .

وكان الشيعة اذن حزباً سياسياً معارضاً ، ولكنهم ظلوا محتفظين بهدوئهم طوال الحكم الراشدي اذ وقفوا منه موقف المهادن ولم يبدأوا تحركهم الا بعد مقتل الامام علي ، كما أن الشيعة قاموا في العهد الأموي بحركات ثورية عديدة لأنهم اعتبروا الأمويين مغتصبين للخلافة ولقد كان لهذه المعارضة أثر كبير في تقويض اركان الدولة الأموية وزلزلة دعائمها ، كما كانت لهم اليد

الطولى في قيام الدولة العباسية التي علقوا عليها أكبر الآمال بإعادة الحق إلى أصحابه الشرعيين ، غير أن العبّاسيين استأثروا بالحكم والسلطان وأبعدوا العلويين ، فلم يجد هؤلاء بداً من إعلان نقمتهم ، بثورات عديدة كان لها أثرها في تقويض اركان الدولة العباسية .

على أن الشيعة انقسموا الى عدَّة فرق وكان سبب انقسامهم ينحصر في امرين مهمين .

١ ـ في المبادىء والتعاليم .

كان منهم المتطرفون المغالون في التشيع لدرجة يسيغ معها على العلويين التقديس ، ومنهم من يطعن في كل من يخالف علياً ويعتبره كافراً جاحداً ، اما الفريق الثالث فهو المعتدل الذي يرى الخير في الاعتدال .

٢ ـ في تعيين الأئمة .

كما اختلفت الشيعة فيمن تكون الامامة من أبناء علي وذريته واشهر هذه الفرق :

١ ـ الامامية وتقسم الى فئتين : الاثنا عشرية والاسماعيلية .
٢ ـ الزيدية التي قالت بامامة زيد بن علي بن الحسين .

الاثنا عشرية :

سموا كذلك لأنهم يقولون باثني عشر إماماً ، أولهم الامام علي بن ابي طالب وهذه الأولية متفق عليها عند جميع الفرق الشيعية ، ومن بعده ابنه الحسن ثم الحسين فعلي بن الحسين ، فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلي الرضا ، فمحمد الجواد ، فعلي الهادي ، فالحسن العسكري فمحمد بن الحسن العسكري صاحب العصر والزمان وهو المهدي المنتظر الذي غاب وهو صغير ، وسيعود في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، عجل الله تعالى فَرَجه .

آراء الاثنا عشرية :

إن آراء الاثني عشرية في الامامة تختلف عن أهل السنة والاسماعيلية فهم يعتقدون :

١ ـ بأحقية علي وآل بيته بالخلافة ويحشدون البراهين الدالة على الوصية من قبل النبي (ص) ويطعنون بإمامة الخلفاء الراشدين الذين سبقوا علياً ويعتبرونهم مغتصبين لحق أهل البيت كما مر معنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

٢ ـ بأن للامام صلة روحية باللّه ، فهووصيُّ النبي وحجة اللّه على الناس في الأرض .

٣ ـ الامام معصوم عن الخطأ .

٤ ـ يعتقدون بشفاعة الائمة ، فهم عندهم كالأنبياء وسطاء بين اللله والناس .

٥ ـ يعتقدون بعودة الامام الثاني عشر بعد غيبته ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعدما ملئت جوراً وظلماً .

٦ ـ التقية : أي كتمان عقيدتهم خوف الاضطهاد والتعذيب .

٧ ـ المتعة : وهي الزواج المؤقت الذي أجازه الرسول في وقت الحاجة ، وقد اختلف السنة والشيعة حوله ، فقالت السنة إن النبي عاد فحرمه عندما لم تعد حاجة اليه ، قالت الشيعة إن النبي لم يحرِّمه بل حرمه غيره من بعده .

الاسماعيلية :

هي فرقة من الامامية تقف في تسلسل ائمتها عند اسماعيل بن جعفر الصادق الامام السادس وقد سميت بالسبعية واسماعيل هو الابن الأكبر لجعفر

الصادق وقد توفي عام ١٤٣ هـ في المدينة قبل وفاة ابيه بخمس سنين وقد انقسم اتباعه الى طائفتين :

١ ـ طائفة قالت : بأن اسماعيل لم يمت بل تظاهر بذلك تخلصاً من العباسيين .

٢ ـ وطائفة قالت انه مات وانتقلت من بعده الامامة إلى أولاده وثم إلى أحفاده ، وظلَّ هؤلاء يرسلون دعاتهم في الخفاء لأن الامام لا يجوز له أن يظهر إذا لم يكن متمكّناً من قوته . وظلت الامامة تنتقل سراً الى أن جاء عبيد الله المهدي فأعلن نفسه واطلق الدعاة في كل الأقطار واسَّس الدولة الفاطمية في المغرب ، ثم نقلها الى مصر . وقد خرجت الاسماعيلية بشيء من التعاليم الفلسفية ، واختلفت معتقدات فرقها ، من قرامطة ودروز الى المعتقدات الرئيسية التالية :

١ ـ التأويل : كانوا يعتقدون أن لكل نص دينيٍّ معنيَين ، معنى ظاهر وهو للعامة ، ومعنى باطن لا يفهمه إلاَّ الأئمة ، ومن هنا أطلق عليهم لقب الباطنية .

٢ ـ العقل : وهو الأمر الذي خلق اللّه العالم بواسطته .

٣ ـ مراتب المجتهدين : جعل البعض منهم مراتب المجتهدين سبعاً والبعض الآخر جعلهم تسعاً ، ولا ينتقل المجتهد من مرتبته الى مرتبة ، الاّ بعد أن يقضي زمناً في التعليم على يد (الداعي) الذي يعلمه في كتاب (البلاغ) الذي هو نتيجة المذهب والكشف الأكبر .



الباب الثالث

الخلافة العباسية وانتشار الشيعة



الفصل السادس

« العباسيون وأهل البيت »

كانت الدعوة العباسية إحدى ثمرات الخصام القديمة التي كانت متأصلة بين الأمويين والهاشميين . وكان الأمويون والهاشميون متنافسين فيما بينهم على السلطة السياسية والاقتصادية في الفترة التي سبقت الاسلام .

وقد ارتسمت مظاهر الصراع مع ظهور النبي محمد (ص) ومعارضة بني امية له ، وبعد وفاته ، وعندما استلم الامام علي الخلافة تجدّد الصراع ، وبدأ في صفين وبلغ ذروته في معركة كربلاء هذه المعركة التي هزّت ضمير العالم الاسلامي آنذاك ، وجعلت الشيعة صفاً واحداً ، قاموا بعدها يطالبون بالثأر للحسين بن علي الذي استشهد في تلك المعركة غير المتكافئة ، وكانت تلك المعركة سبباً مباشراً لثورات متعددة بعضها أصاب نجاحاً وبعضها الآخر لقي الفشل ، لأن هذه الثورات كانت تفتقر الى التخطيط والتنظيم .

وقد انتقلت الزعامة الشيعة الى فرع آخر من الأسرة الهاشمية ، هو الفرع العبَّاسي نسبة الى العباس عم النبي (ص) ، ولم يتطلع العباسيون في بادىء الأمر الى استلام الخلافة ، اذ أن العباس وابناءه كانوا شديدي الحماس لعليٍّ ولحقّه في الخلافة ، وقد ظهر طموحهم في الحكم على يد محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس الذي أصبح زعيماً لإحدى تنظيمات الشيعة . اذ أن زيارة ابي هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية الذي كان صاحب الدعوة الكيسانية الشيعية ، الذي توفي عند محمد بن علي وقد عينه خليفة من بعده لأنه لم يكن

له ولد ـ وكان الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك قد عرف بأمره وأدرك خطورة دعوته ، فاستدعاه اليه ودس له السم فمات بالحميمة قرب البحر الميت حيث كان يسكن محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس .

وقد اسّس صاحب الدعوة الجديد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس جهازاً تنظيميا للدعوة ، وجاب الدعاة خراسان لأنها أرض صالحة للثورة ولأنها بعيدة عن مركز الخلافة دمشق ، ولتجمع العناصر غير العربية فيها ، ولأن تلك العناصر كانت تكره الحكم الأموي لطغيانه وفساد اتباعه .

وكانت البيعة تؤخذ باسم آل البيت ، ولما مات صاحب الدعوة محمد بن علي سنة ١٢٦ هـ ، انتقلت الزعامة إلى ابنه ابراهيم ، وانتقلت الدعوة في عهده من السرية الى العلنية وقد نشطت على يد شخصية خراسانية هو ابو مسلم الخراساني ، وتوجه ابو مسلم الخراساني الى خراسان مؤلباً الناس ضدَّ الأمويين ، وحارب نصر بن سيار والي الأمويين على خراسان وتغلب عليه بعد أن تراجع هذا الى نيسابور وكان قد أرسل نصر بن سيار كتاباً الى مروان آخر خلفاء بني امية يقول فيه :

أرى خلل الرماد وميض نارٍ ويوشك أن يكون لها ضرامُ
فإن لم يُطفها عقلاء قومٍ يكون وقودها جثث وهامُ

فأرسل اليه مروان جواباً قال فيه : لقد ظهر الداء عندك فاحسمه بالقوة . ولكنّ قوة أبي مسلم وشجاعته استطاعت أن تقضي على فلول الأمويين ، وما لبثت بعد ذلك العراق ان سقطت بعد معارك عنيفة بين عاملها يزيد بن عمر بن هبير وبين الجيوش العباسية بقيادة الحسن بن قحطبة .

وجاءت الضربة القاضية التي اطاحت بالدولة الأموية في معركة الزاب الحاسمة التي دارت بين مروان بن محمد وبين عبد اللّه بن علي العباسي وفرَّ مروان وقام القائد المنتصر يتعقب الأمويين ويصفيهم في كل مكان . وابيدت الأسرة الأموية ولم ينج فيها الا عبد الرحمن بن معاوية الذي فر الى افريقية ،

ثم الى الأندلس حيث أسس فيها دولة عربية وبسقوط الأمويين انتقل مركز الخلافة من دمشق الى بغداد في العراق .

وهكذا فإن الدعوة العباسية استخدمت نفوذ آل البيت مستغلة تذمُّر الموالي من الحكم الأموي فكانت ثورة شاملة ، ورحَّب الناس ترحيباً عظيماً بولادة الدولة العباسية التي قامت لتحقيق المساواة والعدل ، ولكنَّ القناع الجديد ما لبث أن سقط عن وجه الحكم الجديد وكشفت هويته على حقيقتها فتنكّر العباسيون للمبادىء التي نادوا بها ، وقد سلكوا نفس السياسية التي سلكها الأمويون قبلها من بطش وتنكيل وقسوة .

« الخلافة العباسية »

بويع ابو العباس السفاح عبد اللّه بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس بالخلافة سنة ١٣٢ هـ وقد أوضح في خطبته في مسجد الكوفة الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية مشيراً إلى حق العباسيين بالخلافة والكفاح الطويل الذي من أجله خاصةُ أهل البيت . وقد ثبّت أبو العباس السفاح أقدام العباسيين في الخلافة ووطّد أركانها ، وقد اجتازت هذه الدولة الناشئة هذه المرحلة العصيبة من تاريخها ، واصبحت اشد مناعة وقوة في عهد أخيه المنصور الذي عرف بالمؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، وقد سعى المنصور الى ان يوقع بأبي مسلم الخراساني الذي اصبح الشخصية المميزة والقادرة . فاستمال رجال أبي مسلم بالأموال التي أغدقها عليهم وقتله .

وتسلَّم الحكم بعد المنصور مجموعة من الخلفاء ونخص بالذكر هارون الرشيد الذي أصبح فيما بعد رجلاً أسطورياً حيث بلغت الخلافة العباسية قمة مجدها في عهده ، في السياسة والاجتماع وفي النهضة الفكرية التي كان رائدها .

وبعد نجاح الثورة العباسية كما تقدم أصيب العلويون وهم احد العناصر المهمة التي سارت مع الثورة ، وناضلت في صفوفها بخيبة أمل شديدة ، ولا

سيما بعد أن برزت هوية الدولة الجديدة وبانت صفتها العباسية ، وهم الفرع الهاشمي الذي قاد المعارضة ضدَّ الحكم الأموي السابق ، وحملوا راية الثورة منذ موقعة كربلاء حتى ثورة زيد بن عليّ في أواخر الدولة الأموية ، كما أن العلويين كانوا على اعتقاد بأن الثورة ستكون لصالحهم ولكن أمانيهم باءت بالفشل .

ولما أدركوا ضياع الخلافة من ايديهم انتفضوا على الدولة الجديدة محاولين إسقاطها وساروا على نفس الطريق الذي سلكوه مع النظام الأموي وهو طريق الكفاح والثورة .

الفصل السابع

هارون الرشيد وموسى بن جعفر

لما حج هارون الرشيد وجاء لزيارة قبر الرسول (ص) تقدم الى القبر الشريف وقال : السلام عليك يا ابن عمي مدلاً بذلك ، فدنا موسى بن جعفر وقال : السلام عليك يا أبت فتغير وجه الرشيد وقال هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً (رواه (الخطيب في تاريخ بغداد) . وقال له الرشيد لم جوزتم أن ينسبكم الناس الى رسول الله وأنتم بنو علي ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أن النبيَّ نُشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟ فقال : سبحان الله ولِمَ لا أجيبه ، بل افتخر على العرب والعجم وقريش بذلك . فقلت لكنه لا يخطب الي ولا أزوجه . قال : ولِمَ ؟ قلت ، لأنه ولَدني ولم يَلدك قال : أحسنت .

ولما رأى الرشيد علمه وفضله وتعظيم الناس له ، خافه على ملكه ، فحبسه في بغداد أربع سنين ثمَّ قتله بالسم وكتب الى الرشيد من الحبس : انه لن ينقضي عني يوم من البلاء الاّ انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نقضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء وتوفي سنة ١٨٣ هـ وعمره خمسة وخمسون عاماً .

إن الامام موسى بن جعفر قد هدَّ السجن صحته وأذاب جسمه حتى اصبح حين يسجد لربه كالثوب المطروح على الأرض ، فيدخل عليه رسول الزعامة المنحرفة ، فيقول : ان الخليفة يعتذر اليك ويأمر بإطلاق سراحك ، على أن تزوره ، وتعتذر اليه ، وتطلب رضاه ، فيشمخ الامام وهو يجيب بالنفي بكل

صراحة ، ويتحمل مرارة الكأس الى الشمالة ، لا لشيء الاّ لكي لا يحقق للرشيد هدفه في أن يبارك خطه . ان مثل هذا الموقف نُباهي به الأمم جمعاء ، ونفخر به على كل متسلط و متزعِّم ، ولا غرو في ذلك فالامام لا يهادن الظالمين ولا يساوم على أتباعه وأشياعه لأنه القدوة والمثل . وبمثل هذه القدوة يقتدي الشيعة كلهم فلم يَخَف الأئمة من أهل البيت الموتَ ، ولم يفزعوا من الظلم ، ولم يهابوه لأنهم تعلقوا بالرب الكبير أيما تعلق فتوجهوا اليه تعالى بكل جوارحهم ، وانصهروا في بوتقة حبه وعبادته لم تخدعهم بيضاء ولا صفراء ولا غرتهم الدنيا الفانية شأنهم شأن جدهم علي المرتضى .

الفصل الثامن

سبب انتشار الشيعة في خراسان

لقد نشأ التشيع في الأمة حتى سرى الى الملوك والأمراء ، فمال اليه من ملوك بني أمية معاوية الأصغر ، ومال إليه وناصره عمر بن عبد العزيز ، وكان المأمون من بني العباس متظاهراً بالمشايعة لعلي عليه السلام وولده ، ولقد فضله على غيره من الصحابة وجعل المأمون الرضا عليه السلام وليَّ عهده كما أن المأمون أحسن الى العلويين وإذا صحّ سمه للرضا يكون قد أفسد ما أصلح وقال في ذلك ابو فراس الحمداني :

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته ... وابصروا بعض يومٍ رشدهم فَعَموا

وكان بعده الامام الناصر من بني العباس شيعياً وكان الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف الأيوبي المعاصر للناصر شيعياً . وكان كبراء وزراء الدولة العباسية وكتابها شيعة . ولما خرج الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الى خراسان في زمن المأمون تشيع كثير من أهلها ، وعندما ضعفت الدولة العباسية وخرجت أكثر الأمصار عن يدهم واستبدَّ الأمراء بها لم يبق لهم غير الخطبة فظهرت في العراق وفارس ودولة البويهيين، وفي الموصل وحلب والعواصم ودمشق دولة الحمدانيين ، وفي أفريقية والمغرب ومصر والشام والحجاز دولة الفاطميين حتى اصبحت كل بلاد الاسلام بيد الملوك والأمراء الشيعة .

وفي عهد الملوك الصفويين أصبح جل أهل ايران شيعة ، كما ان التشيع دخل في جميع بلاد خراسان وما وراء النهر وأفغانستان وامتد الى بلاد الهند والسند والتيبت ، وظهرت في بلاد الهند دولة العادلشاهيّة والنظامشاهية والقطب شاهية وغيرها من الدول الشيعية . ومازال التشيع يفشو فيها حتى اصبح فيها اليوم ما يزيد على ثلاثين مليوناً من الشيعة . وأهل البحرين كذلك قديمو التشيع وقد غرس فيهم التشيع إبان بن سعيد بن العاص وقد وليها عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله (ص) وكان من الشيعة .

وانتشر التشيع في بلاد الأناضول وفي البانيا . وان من اهم اسباب انتشار التشيع في خراسان هو خروج الرضا إليها ، وزاد انتشاره في ايران في عصر الملوك الصفوية ، وهؤلاء هم من نسل الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهم عرب اقحاح ، ومازال التشيع يفشو ويقل ويظهر ويخفى في بلاد الاسلام حتى اصبح عدد الشيعة اليوم في انحاء المعمور يناهز المائة مليون بما فيهم شيعة لبنان وسورية والعراق .

اضطهاد الشيعة في البلاد الاسلامية :

روى ابو الحسن علي بن محمد بن ابي سيف المدايني في كتاب الأحداث قال : كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب واهل بيته ، فقامت الخطباء في كل مكان وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ، عبارة زائدة وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة وكان يتتبع الشيعة فيقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق ـ وكتب معاوية في جميع الآفاق الى عماله ان لا يجيزوا لأحد من شيعة علي واهل بيته شهادة ، وطلب منهم ان يدنوا من مجالسهم من كان من شيعة عثمان حتى اكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثه اليهم

معاوية من الصلات والكساء والحباء ، والقطائع ، ويفيضه في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيء واحد من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة او منقبه الا كتب اسمه وقربه وشفعه ، فلبثوا بذلك حيناً ثم كتب الى عماله : إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في الفضائل التي للصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه الناس في أبي تراب الا وائتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب الي وأقر لعيني وادحض لحجّة ابي تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله ، فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها .

وجرى على الحسين بن علي وانصاره من القتل ومنع الماء وسبي الأطفال والنساء ورض الأجسام وحمل الرؤوس على الرماح ما هو معروف مشهور . ولما وفد زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك جفاه وامر اصحابه ان يتضايقوا في المجلس حتى لا يجد مكاناً يجلس اليه ولما دخل قال له في جملة كلامه : أخوك البقرة ، فقال له زيد سماه رسول الله (ص) باقر العلم وتسميه انت البقرة لشدّ ما اختلفتما ، اختلفتما في الدنيا ولتختلفان في الآخرة ، ثم خرج الى العراق فقتل ونبش بعد الدفن وقطع رأسه وارسل الى هشام وصلب منكوساً عارياً ثلاث سنين ، والجنود تحرسه حتى عششت الفاختة في جوفه ، ثم أنزل وأحرق ودري في الفرات .

وكذلك قتل يحي بن زيد بن علي بن الحسين بالجوزجان واحتز رأسه وبعث به الى نصر بن سيار ، فبعثه نصر الى الوليد بن يزيد ، فبعثه الوليد الى المدينة ، فجعل في حجر أمه ريطة فنظرت اليه فقالت : شردتموه عني طويلاً ، واهديتموه الي قتيلا ، وكان عمره ثماني عشرة سنة وصلب بدنه على باب مدينة الجوزجان فلم يزل مصلوباً حتى جاءت المسودة .

ثم جاءت الدولة العباسية ، فكان العباسيون متشددين على العلويين ظلماً واضطهاداً .وقد ولى العباسيون القضاء والفتوى إلى المنتسبين الى مذهب التسنن ، واعرضوا عن مذهب الشيعة أهل البيت وأقصوا اتباعهم وسجنوهم ، كل ذلك خوفاً منهم على الملك والخلافة ، لما رأوا من مكانتهم في قلوب الناس ـ وفعل المنصور ببني الحسن السبط الأفاعيل ، فحملهم من المدينة الى الهاشمية بالعراق مقيدين مغلَّلين ، وحبسهم في سجن لا يعرفون اللَّيل من النهار ، واذا مات منهم واحد ترك معهم ، ثم هدم السجن عليهم ، ثم حمل الامام جعفر بن محمد الصادق مراراً الى العراق وأراد قتله فنجاه اللّه منه .

ولما أصبح الرشيد خليفة قبض على الامام موسى بن جعفر الكاظم بالمدينة لغير ذنب سوى فضله وعلمه ، وميل الناس اليه ، ثم حمله الى البصرة ، فحبسه بها ثم في بغداد مدَّةً طويلة ، ثم قتله بالسم ، ثم وضعه على الجسر في بغداد ، وأمر أن ينادي عليه بنداء فظيع ؛ فلما سمع عمه سليمان بذلك أمر ان ينادي عليه بضد ذلك وهو : من أراد ان ينظر الطيب ابن الطيب فليحضر جنازة موسى بن جعفر ، ومشى في جنازته حافياً وصلى عليه ودفنه باحتفال عظيم .

كما بالغ الرشيد في ظلم العلويين فاضطهدهم ، ولما علم الرشيد أن منصوراً النمري قال شعراً في أهل البيت أرسل اليه الى الرقَّة من يقتله فوجده مريضاً قد اشفى على الموت ، فانتظره ثلاثاً حتى مات ودفن ؛ واخبر الرشيد بموته ، فأمر بنبش قبره واحراق ديوانه .

وقد كثرت الوشايات والسعايات لدى الخلفاء العباسيين على العلويين . ولم يزل الأمر في شدَّة عليهم إلى عهد المأمون الذي سلك معهم على خلاف سيرة أبيه ، واقتفى سيرته في ذلك ابن اخيه الواثق بن المعتصم فإنه بالغ في اكرام العلويين والاحسان اليهم والتعهد لهم بالأموال . ثم جاء من بعده فعادوا الى سنة أسلافهم ، حتى أن المتوكل بن المعتصم حرث قبر الحسين وأدار الماء عليه ومنع الناس من زيارته .

ولما ضعفت دولة بني العباس ، وظهرت الدولة البويهية في العراق والحمدانية في الشام والجزيرة ، والفاطمية في افريقية ومصر والشام ، ذهب الاضطهاد عن العلويين وارتفع عنهم الحيف ، ولما انقرضت هذه الدول وخلفتها الدولة السلجوقية في العراق وفارس وبعض الشام ، والدولة الأيوبية في مصر و الشام ، ودولة الموحدين في المغرب ، عاد الأمر كما كان عليه وحبس صلاح الدين الأيوبي بقايا الفاطميين في مصر ، وفرّق بين الرجال والنساء حتى لا يتناسلوا وهذا هو الظلم الفاحش ، ثم أعيد اتخاذ يوم قتل الحسين (ع) عيداً كما سنه بنو أمية والحجّاج بالشام .

وارتفع الاضطهاد عن الشيعة في ايران في عهد الدولة الصفوية وفي سنة ٤٠٧ هـ قتلت الشيعة في المغرب قتلاً عاماً أيام المعز بن باديس ووفي لبنان في عهد الشهابيين جرت حروب كثيرة بينهم وبين العامليين وبين الداالعامليين والصفديين وبينهم وبين الدمشقين في سهل الحولة .

وكان سلاطين بني عثمان لا يزالون في حروب مع سلاطين الفرس الصفوية وقتل السلطان سليم العثماني من الشيعة في الأناضول أربعين ألفاً لم يكن لهم ذنب سوى أنهم شيعة . وفي عصر الشاه عباس الصفوي قتل عبد المؤمن خان ملك الأوزبك أهل مشهد الرضا بخراسان قتلاً عاماً لأجل التشيع .

كما أن شيعة العراق وسورية كانوا ملزمين في عهد العثمانيين بالتحاكم الى القضاة الأحناف ، مع أن لهم مذهباً معروفاً مدوناً ، وفيهم المجتهدون الأمناء النزهاء العارفون بالقضاء على مذهب أهل البيت . أما في عهد امراء جبل عامل الشيعة الذين كان لهم حكم اقطاعي فكان يعين قضاة ومفتون من الشيعة من قبل العثمانيين .

وفي عهد جبل لبنان بعد امتيازه عقيب حادثة الستين المعروفة جعل مذهب الشيعة فيه رسمياً ، وعُين لهم قاض شيعي ، وكذا في العراق عقب انتهاء الحكم العثماني .

- الفصل التاسع -

مشكلة ولاية العهد في العصر العباسي

- بعد فصل انتشار الشيعة في خراسان

كانت مشكلة ولاية العهد مظهراً بارزاً من مظاهر الصراع على السلطة ، ولذلك أدت بالدولة العباسية إلى المتاعب ، واستنفذت من نشاط خلفائها ، وقد ساهمت التكتلات السياسية ومؤامرات البلاط في إذكاء هذا الصراع الذي كان يصل إلى الاشتباك المسلح بين أفراد الأسرة الحاكمة ، ثم نجم عن ذلك عدم وجود نظام ثابت ومحدّد للخلافة ، وهذا الأمر لم يقتصر على الدولة العباسية ، بل عانت منه الدول العربية الاسلامية بصورة عامة ، وخاصة الدولة الأموية ؛ حيث كان الخلفاء يميلون إلى جعل السلطة السياسية بعدهم لأبنائهم ، متجاوزين اعتبارات الكفاءة والمقدرة على الحكم ، مما أدّى إلى ظهور الأنقسام بين أعضاء البيت الحاكم ، وكان من أهم الأسباب التي عجلت بسقوط الدولة الأموية وزوالها .

وبعد قيام الدولة العباسية ، لم يستفد الخلفاء العباسيون من تجربة الأمويين ، وإنما وقعوا في نفس الخطأ ، بتعيين اثنين في ولاية العهد ، أو بمحاولة الآباء توريث الأبناء . وقد بدأ الصراع منذ أن اختار أبو العباس اثنين لخلافته : أخاه أبا جعفر المنصور ، وابن أخيه عيسى بن موسى ، مستبعداً عمه عبد الله بن علي . ولما مات أبو العباس ، ثار عبد الله مطالباً بالخلافة ، غير أن الخليفة المنصور استطاع القضاء عليه بمساعدة أبي مسلم **الخراساني**

وقد رغب المنصور في أن يعدَّ أحد أبنائه لاستلام الحكم من بعده ، ولكن أمر إبعاد عيسى بن موسى أقدرِ العسكريين في البيت العباسي لم يكن بالأمر السهل ، فكان لابد من انتظار فرصة ملائمة لتحقيق هذه الغاية . ولما ثار (النفس الزكية[1] في الحجاز ، أرسل المنصور ولي عهده للقضاء عليه وكان قد توقع لوليه الفشل في مهمته ، ولكن عيسى رجع من الحجاز ظافراً ، فازدادت مكانته في عاصمة الخلافة .

وقد قام المنصور بمحاولات لابعاد عيسى عن ولاية العهد ، ولم يدع وسيلة إلا واستعملها لحمل ابن أخيه على التخلي عن حقه بالخلافة ، وقد تنازل عيسى عن حقه بالولاية للمهدي بن المنصور على أن يحتفظ بولاية العهد الثانية ، غير أن المهدي كان مصمِّماً على إزاحة ولي عهده وتوليته ابنه موسى (الهادي) فاستعمل معه نفس الأساليب التي استعملها والده من قبل وكما حرك الهاشميين وشيعتهم من أهل خراسان وحرضهم على خلع عيسى وأخذ البيعة للهادي[1] وقد خضع عيسى لضغوط المهدي وخلع نفسه مكرهاً وبويع بعده للهادي ومن بعده لهارون الرشيد .

وقد تفجرت المشكلة في أيام الهادي الذي ما إن تولى الخلافة حتى أطاح بأخيه وجعل ابنه جعفراً مكانه ، فتأزم الموقف بين الأخوين وأوشك الصراع أن يتحول إلى حرب اهلية ، لولا حكمة يحي البرمكي الذي دافع عن حق الرشيد ، ولولا موت الخليفة المبكر نتيجة مؤ امرة دبرتها أمه الخيزران ، لأنه أراد أن يحدَّ من سلطتها وتدخلها في شؤ ون الحكم .

وفي عهد الرشيد اتخذت مشكلة ولاية العهد أبعاداً سياسية ، ما لبثت أن تطورت إلى صراع دموي بعد موته ، وقد وقع في نفس الخطأ الذي وقع به أسلافه ، وزاد عليهم بأنه لجأتحت ضغط من زوجته والقوة العربية في الدولة ،

---

(١) النفس الزكية : هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن أبي طالب أبي عبد الله الثائر في زمن أبي جعفر المنصور .

(١) الطبري : ٥/ ٣٢٩

إلى تولية ابنه محمد (الأمين) في سنة ١٧٥ هـ ، وإبعاد ابنه عبد الله (المأمون) الذي كان الأكبر سنا والمرجّح لولاية العهد والذي كان أكثر كفاءة ، وهذا ما كان يريده الرشيد نفسه ، وما لبث أن عين المأمون في سنة ١٨٣ هـ في ولاية العهد الثانية على أن تكون له ولاية خراسان والولايات الشرقية ، وأعقب البيعة في سنة ١٨٦ هـ لابنه القاسم بعد المأمون ودعاه (المؤتمن) وولاّه على الجزيرة .

وكان موقف الرشيد هذا يعوزه التقدير والمسؤولية ، فقد قسم الأمبراطورية بين أولاده الثلاثة ، وبذلك يكون قد بذر التفكك السياسي في امبراطوريته الواسعة التي تمخضت عن ظهور دويلات مستقلة بعد ذلك بقليل ، وأوقع الدولة في حرب أهلية طاحنة ، كانت لها نتائجها الخطيرة على مستقبل الدولة ، فقد تكتل العرب إلى جانب الأمين وأخذوا يحرضونه على خلع أخيه المأمون ، فانفجر الصراع بين الأخوين ، وتأجّجت النار من أصحاب المصالح والطموح من الطرفين ، فالفضل بن سهل الذي عاش في كنف البرامكة وقف إلى جانب المأمون ، والفضل بن الربيع عدو البرامكة وقف إلى جانب الأمين ، وانتهى الصراع بانتصار القوة الفارسية بزعامة المأمون ، ومقتل الأمين واندحار القوة العربية بعد معارك طويلة ومضنية .

اسباب تولية الامام علي الرضا (ع) :

لعل المأمون كان الوحيد بين الخلفاء العباسيين الذي تميز بصحة الرؤيا في معالجته لمشكلة ولاية العهد ، فقد رأى أن تكون الكفاءة هي المعيار الأول في اختيار الخليفة ، لذلك عين شخصاً واحداً لاحظ فيه المقدرة على تحمل مسؤوليات الحكم ، فاختار أولاً (في سنة ٢٠١ هـ) الامام علي بن موسى الرضا (ع) الامام الثامن من أئمة الشيعة الاثني عشرية .

وكانت لهذه البيعة أسباب يختلف حولها المؤرخون ، وإن كان من المرجح أن المأمون أراد ان يحقق نصراً سياسياً من وراء ذلك باستمالة العلويين

وشيعة خراسان الذين كانوا إلى جانبه أثناء صراعه مع أخيه الأمين . ولكن ما لبث المأمون أن تراجع عن بيعته للرضا خاصة بعدما تمرد أهل بغداد عليه ، لأنهم تخوفوا من تحول الخلافة إلى العلويين . وانتهى الأمر بمبايعة المأمون لأخيه أبي إسحق المعتصم متجاوزاً بذلك ابنه العباس ومخالفاً سنة الخلفاء العباسيين الذين سبقوه في الحكم .

وهكذا فإن سياسة المأمون اتسمت بأنها جمعت بين المواقف المتناقضة التي يصعب التوفيق بينها ، فهو يميل الى الفرس تارة ثم الى العلويين تارة أخرى ، ثم يميل إلى السنة تارة ثالثة ، فاستطاع بتلك السياسة المرنة أن يجمع بين المواقف المتناقضة وأن يرضي جميع الأحزاب ويتغلب على معظم الصعاب .

خلافة المأمون

بويع له البيعة العامة ببغداد سنة ١٩٨ هـ ، وكان من الخلفاء العلماء الحكماء وكان فطناً كريماً . وقد نشأ وتربى على حب الفرس وبويع بالخلافة وهو بخراسان ولهذا لم ينتقل إلى بغداد مقر الخلافة العباسية بل ظلّ مقيماً في مدينة مرو بخراسان مدة ست سنوات تقريباً ؛ ثم انتقل بعدها إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ ، ويقال إن سبب ذلك هو أن المأمون كان يخشى أهل بغداد أنصار أخيه ، وقيل كذلك إن وزيره الفضل بن سهل هو الذي أقنعه بذلك كي يكون مركز الدولة بين الفرس في خراسان[١] .

وكيفما كان الأمر فإن بقاء المأمون في مكان بعيد من مملكته قد تسببت عنه بعض الأزمات السياسية خصوصاً وأنه فوض إدارة البلاد إلى وزيره الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل الذي ولاّه المأمون على العراق وتزوج ابنته بوران والمعروف عن بني سهل أنهم كانوا فرساً ولهم ميول فارسية . ولقد أثار

---

(١) د . احمد مختار العبادي ص ١٠٢

تحيز المأمون للفرس غضب أهل العـراق من بني هاشـم ووجـوه العـرب ، فأشاعوا بأن بني سهل قد حجبوا الخليفة ، واستبدوا بالرأي دونه . لهذا نجد أن أول ثورة قامت ضدّ المأمون كانت ثورة عربية عراقية تزعمها قائد عربـي اسمه أبو السرايا السري بن منصور الشيباني ، وكان مركزها مدينة الكوفة في العراق . وقد انضم إلـى هذه الثـورة عدد كبير من العلـويين النـاقمين علـى العباسيين ، وانتصر أبو السرايا على الجيوش التي أرسلها إليه الحسن بن سهل والي العراق ، واستولى على البصرة والقادسية . إلا ان هرثمة بن أعين استطاع أن يقضي على الثورة ، ويقتل قائدها ، ويشرد أتباعها سنة ٢٠١ هـ ، وكان قد استدعاه الحسن بن سهل واسترضاه بعد أن سبق وطرده من العـراق إلـى خراسان تخلصاً منه .

سياسة المأمون نحو العلويين :

أما سياسـة المأمـون نحـو العلـويين ،فكانت في ظاهرهاتتسم بالعطف والتسامح ، وكأنه أراد بذلك أن يتلافى مغبة السياسة القاسية التي سلكها آباؤه كما رأينا سابقاً .

وكان قد فكر في جال الخلافة من بعده ، وأراد أن يجعلهـا في رجـل يصلح لها لتبرأ ذمته ، فلم ير أصلح ولا أفضل ولا أروع ولا أقوى في الدين من علي بن موسى الرضا (ع) . فعهد إليه وكتب بذلك كتاباً بخطه وألزم الرضا عليه السلام ، بذلك فامتنع ، ثم أجاب ووضع خطَّه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه : إني قد أجبت امتثالاً للأمر وإن كان الجفر والجامعة يدلاّن على ضد ذلك ، وشهد عليهما بذلك الشهود[1] .

ويلاحظ أن ميل المأمون إلى العلويين يتفق مع ميوله الفارسية ، إذ كانت

---

(١) تاريخ الدولة الاسلامية لابن طباطبا ص ٢١٧ .

أمه وزوجته فارسيتين وكان الفرس يعتقدون أن العلويين هم وحدهم أحق بالخلافة بسبب صلة النسب التي تربطهم بآل علي منذ أن تزوج الحسين بن علي(ع)ابنه يزدجردالثالث ملك الفرس الساساني . ولقد قام المأمون في هذا السبيل بحركة سياسية غريبة احتار المؤ رخون في تفسيرها وذلك باختياره الامام علي بن موسى الرضا (ع) كما رأينا ، وبايعه بولاية العهد وأقر لقبه بالرضا من آل محمد ، وزوجه ابنته أم حبيب ، وأمر جنوده بطرح الشعار الأسود ، شعار العباسيين ، ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين ، وكتب بذلك الى سائر انحاء المملكة . ولكن لا يبعد أن المأمون العالم الحكيم الذي عرفنا فيما سبق ، قد أراد بذلك أن يستنفد عواطف جميع شيعة علي وأبنائه (ع) ويحقق لهم هذا الأمل في تولية الرضا (ع) ، ليسلِّمه صكَّ ولاية العهد باليمين ، وليغدر به سراً بالشمال ، فيكون قد أعطى وقد أخذ ، أعطى الناس جهراً ما يرضي رغباتهم ويحقق آمالهم فأراهم نفسه منصفاً حكيماً حليماً ، وأخذ الامام (ع) بالاغتيال السِّري ، ثم قبع يبكيه كما بكاه أشد أوليائه تعلقاً به .

ولقد نشأ علي الرضا (ع) نشأة صالحة ، فكان مثل أبيه الامام موسى الكاظم على جانب كبير من العلم والورع حتى قيل يوماً للشاعر أبي نواس : علامَ تركت مدح علي بن موسى الرضا والخصال التي تجمعن فيه ؟ » فقال : لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه ، والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له ، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله :

قيل لي أنت أحسن الناس طراً ... في القوافي وفي الكلامِ النبيهِ
فعلامَ تركتَ مدحَ ابنِ موسى ... والمزايا التي تجمعن فيهِ
قلت : لا أستطيع مدحَ إمامٍ ... كان جبريلُ خادماً لأبيهِ .

وأغلب الظنِّ كما قلنا أن المأمون حينما جعل علياً الرضا خليفة من بعده ، واتخذ رايات العلويين الخضرَ بدلاً من رايات العباسيين السود ، إنما

كان مدفوعاً في ذلك بشعور ديني سياسي يرمي إلى كسب رضاء العلويين والخراسانيين على السواء كما رأينا .

الا أنه يبدو مع ذلك أن المأمون لم يكن **مخلصاً** تماماً في تحويل الخلافة إلى العلويين ، بدليل أنه تراجع عن كلّ هذه الاجراءات حينما دعت الضرورة إلى ذلك . إذ يروي المؤرخون أن العراقيين حينما بلغهم الخبر هاجوا وثاروا ورفضوا مبايعة علي الرضا وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد العباس ، وخلعوا المأمون وبايعوا عمّه إبراهيم بن المهدي خليفة عليهم ولقبوه بلقب المبارك .

وتضيف هذه الرواية أن أخبار هذه الفتنة في العراق لم تصل إلى المأمون ، وأن الفضل بن سهل كان يتعمد إخفاءها عنه ، وأن القائد هرثمة بن أعين حاول أن يصل إلى المأمون بمرو ليطلعه على حقيقة الأحوال بالعراق ، ولكن الفضل بن سهل دبَّر له من قتله ، ومن الطريف أن الشخص **الوحيد** الذي تجرأ على إخبار المأمون بأخبار هذه الفتن هو الامام علي الرضا ولي عهده ، عندئذٍ انتبه المأمون إلى الخطر المحدق به ، وخرج من مرو إلى مدينة طوس ليستمدَّ القوة بالصلاة على ضريح والده الرشيد ، وفي الطريق قتل وزيره الفضل بن سهل وهو في الحمام بمدينة سرخس . وبعد وصوله الى مدينة طوس بقليل مات صهره الإمام الرضا (ع) من جراء اضطراب في الجهاز الهضمي حسب بعض الروايات ، وفي روايات أخرى دسَّ المأمون له السم في العنب فمات من ساعته . ثم كتب إلى بني العباس في بغداد يقول لهم : ان الذي أنكر تموه من أمر علي بن موسى قد زال وإن الرجل مات فأجابوه أغلظ جواب[1] .

وهناك في مدينة طوس دفن الامام الرضا . (ع) ولم تلبث أن قامت حول مقامه مدينة جديدة ، هي مدينة مشهد التي حلَّت محل مدينة طوس القديمة وهي تعتبر اليوم من أهم الأماكن الشيعية المقدسة بعد كربلاء .

---

(١) تاريخ الدولة الاسلامية لابن طباطبا ص ٢١٨ دار صادر بيروت ١٩٦٠

وقرر المأمون بعد ذلك العودة إلى بغداد ، بعد أن زالت الأسباب التي دعت إلى غضب أهلها ، فوصلها سنة ٢٠٤ هـ . حيث أقبل الناس على مبايعته والترحيب به ، وعفا المأمون عن عمه إبراهيم بن المَهدي ، ثم عزل الحسن بن سهل من ولاية العراق بعد فترة قصيرة ، وأمر الناس بلبس السواد مرَّة ثانية وبذلك قطع صلته بابن سهل . وهذا يذكرنا بموقف الرشيد من البرامكة .

ويتضح مما تقدم أن موضوع ولاية العهد كان عملاً سياسياً ومناورة توصل بها المأمون **لاخماد** ثورات العلويين التي كانت **تهدد** عرشه ، ففي الكوفة ثار محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن ابي طالب . وكان يدعو للرضا من آل محمد .

وفي البصرة ثار زيد بن الامام موسى **الكاظم** (ع) وأحرق دور بني العباس . وفي اليمن ثار ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام . وحتى خراسان نفسها لم تسلم من هذه الثورات ، فقد ثار فيها الحسين بن هرش ، داعيا للرضا من آل محمد .

فاصبح العرش العباسي يتأرجح إزاء هذه الثورات ولم تعد القوة وحدها قادرة على **اخمادها** ، فكان لابدَّ من عمل سياسي آخر للقضاء على هذه الانتفاضات المستمرة لهذا ترجح عند المأمون **ان يعقد ولاية العهد للامام الرضا** ليستتب له الأمر ويضمن سكوت العلويين عنه ، ومن ثم يعمد إلى المكيدة للامام الرضا (ع) فيقضي عليه ، وتنتهي جميع محاذيره ! . . فنوايا المأمون منذ البداية لم تكن سليمة ، بل كان عمله من أول لحظة سياسياً لا دينياً ، فقد ألح على الامام في المسير إليه وأرسل بعثة شرف لمرافقته . وهناك شيء آخر جلب شك المؤرخين لنوايا المأمون : هو إكراهه للامام (ع) على قبول ولاية العهد إكراهاً يُلفت النظر إلى أنه يريد أن ينفِّذ خطته فيه ويجعله كبش المحرقة .

ويروي الشيخ المفيد عليه الرحمة طرفاً من المفاوضات التي دارت بين الامام والمأمون ، حيث قال المأمون : إني موليك العهد بعدي . فقال له : اعفني عن ذلك يا أمير المؤمنين .

فقال له المأمون كلاماً فيه كالتهديد على الامتناع عليه وقال في كلامه : إن عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وشرط فيمن خالف أن تضرب عنقه ولابدّ من قبولك ما أريده منك ، فإني لا أجد محيصا عنه[1] .

وهكذا يتضح للباحث أن قصد المأمون لم يكن سليماً ، وأن نواياه لو كانت طيبة مع الامام (ع) لقبل عذره ولم يجبره من جهة ، أو أنه كان يتركه في مرو ولا يلحق به إليها لينفذ خطته الماكرة من جهة ثانية . . والمعروف أن الامام (ع) وقد رضي أخيراً مكرهاً بعد أن قدّم الاعتذارات قائلاً : إن الله عز وجل نهاني أن ألقي بيدي إلى التهلكة ! كأنه يعلم سلفاً أن الأمر لا يصير إليه ، وأنه وسيلة لاغتياله والقضاء عليه . وقد قال عليه السلام للمأمون : لقد أخبرني أبي ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عن رسول الله (ص) أني أخرج من الدنيا قبلك[2] فلا معنى اذن لتولية ولاية العهد . .

(١) دار التراث الاسلامي علي محمد دخيل في كتابه الامام علي بن موسى الرضا ص ٨٨

(٢) نفس المصدر ص ٨٩ .



الباب الرابع

الامام علي بن موسى الرضا
ودوره في الحياة الاسلامية



الفصل العاشر

الامام عليٌّ بن موسى الرضا (ع)

علي الرضا

هو الامام الثامن ابن الامام موسى بن جعفر الكاظم ، أمه السيدة نجمة أم البنين ، ولد في الحادي عشر من ذي العقدة يوم الجمعة سنة مائة وثمان واربعين هجرية في المدينة المنورة ، وتوفي مسموماً يوم آخر صفر سنة مائتين وثلاث هجرية وتولى تجهيزه ولده الجواد ودفن في طوس من أرض خراسان حيث مرقده الآن في قرية يقال لها سنا آباد من رستاق نوقان وعمره خمس وخمسون سنة .

أما اولاده :

فكانوا ستة كما ورد في كتاب مطالب السؤ ال لكمال الدين محمد بن طلحة[1] خمسة ذكور وبنت واحدة : محمد ، الحسن ، جعفر ، ابراهيم ، الحسن ، عائشة . وقال الطبرسي في إعلام الورى : كان للرضا من الولد محمد الجواد لا غير . وعن كتاب العدد القومية : كان له ولدان محمد وموسى لم يترك غيرهما .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ الجزء الثاني السيد حسن الأمين .

علي الرضا والمأمون :

طلب منه المأمون أن يتولى أمر الخلافة لكنه لم يقبل حيث علم ما في ذلك من مظهر من مظاهر العظمة وهو الزاهد في الدنيا . كما أن جده علياً عليه السلام لم يقبل الخلافة في الشورى حيث اشترطوا عليه أن يبايعوه بالخلافة على أن يسير فيهم بسيرة الشيخَين فأبى أشد إباء . . ولما لم يقبل الامام الرضا عليه السلام الخلافة أجبره المأمون على قبول ولاية العهد، بعد أن اشترط الامام الرضا أن لا يتدخل في أي شأنٍ من شؤ ون الدولة ، فقبل الامام الرضا مكرهاً رغم قبول المأمون لهذا الشرط . وقد ظهر عليه السلام من علومه الشيء الكثير بالنسبة الى الأديان والمذاهب والمبادىء في مجلس المناظرة الذي هيأه المأمون وقد صار ذلك حديث الركبان . . أما عبادته فإنه كان يحيي الليل ، ويقرأ القرآن في ثلاثة أيام ، وكثيراً ما كان يسجد سجدات طويلة تستغرق ساعات ، وكان كثير الصيام وكثير المعروف ، وكثير العطاء وأكثر صدقاته كانت في الليالي المظلمة .

ومن آدابه أنه ما أزعج أحداً بكلامه قط، ولا أغلظ في القول ولا اتكأ بين جليسَين ولم يقهقه ولم يبصق أمام أحد وإذا حضر الطعام أحضر جميع أهله وخدمه حتى نساءه وأكل معهم .

قال الحاكم في تاريخ نيسابور : كان يفتي في مسجد الرسول وهو ابن نيف وعشرين سنة ، وروى الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا عن رجاء بن ابي الضحاك وكان بعثه المأمون لاحضار الرضا قال : والله ما رأيت رجلاً كان أتقى للّه منه ولا أكثر ذكراً له ، ولا أشدَّ خوفاً للّه عز وجل ، وكان لا ينزل بلداً الا قصده الناس يستفتونه فيجيبهم ويحدثهم الكثير .

وقد أعجب به المأمون الذي كان متشيعاً لعلي مجاهراً بذلك مكرماً لآل ابي طالب على عكس أبيه الرشيد ويدل على تشيعه أمور كثيرة منها :

اولاً : احتجاجه على العلماء في تفضيل علي بالحجج البالغة كما رواه صاحب العقد الفريد (ابن عبد ربه) وكما رواه الصدوق في كتاب العيون .

ثانياً : جعله الرضا وليَّ عهده وتزويجه ابنته وإحسانه الى العلويين .

ثالثاً : قوله بخلق القرآن وفقاً لقول الشيعة حتى عدَّ ذلك من مساوئه وكان المأمون يحب الامام علياً لأنه أفضل الخلق بعد رسول الله .

سبب جعل ولاية العهد لعلي الرضا :

قيل ان الرشيد بايع ابنه الأمين بولاية العهد ومن بعده لابنه المأمون ومن بعد المأمون لابنه القاسم ، وكتب ذلك في صحيفة أودعها في جوف الكعبة . وقسم البلاد بين الأمين والمأمون ، فالقسم الشرقي للمأمون والقسم الغربي للأمين . وقد سكن المأمون بمرو وسكن الأمين في بغداد . ولما مات الرشيد خلع الأمين أخاه المأمون من ولاية العهد وبايع لولد له صغير ، فوقعت الحرب بين الأخوين . فتغلب المأمون على أخيه الأمين . وقد أراد المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا ، وأجاب على سؤال موجه من أقاربه : لقد أردت البيعة ارادة أن أكون الحاقن لدمائكم باستدامة المودة بيننا وبين آل ابي طالب ، وارجو بذلك قطع الصراط والأمن والنجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر ، ولا أظن عملاً أزكى عندي من البيعة لعلي الرضا ، وقولكم انّي سفهت آراء آبائكم وأحلام أسلافكم ، فكذلك قال مشركو قريش : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ويلكم ان الدين لا يؤخذ من الآباء ، وانما يؤخذ من الأمناء ، ولعمري فمجوسي أسلم خير من مسلم ارتدّ[1] . .

وهكذا اراد المأمون ان يجعل الخلافة في افضل آل ابي طالب . فكتب الى الرضا عليه السلام يستقدمه الى خراسان ، وقيل ان الفضل بن سهل أشار على المأمون أن يقوم بذلك ، فاتبع رأيه . ولا غرو أن المأمون كان من الخلفاء الذين يعرفون انه لا يوجد أفضل من اهل بيت محمد بالخلافة . . .

---

(١) ينابيع المودة ص ١٥٨ العلامة الشيخ سليمان بن الشيخ ابراهيم .

ولما نزل الرضا (ع) بلاد خراسان ، أكرم المأمون وفادته ، وأنزله أحسن منزلة ، لأنه كان يعلم ميل الشعب الى ابناء علي وحبه لهم فجعل الرضا وليّاً لعهده متقرباً بذلك الى قلوب الشعب وكسب عطفه . ولما حضر الرضا أجلسه المأمون معه ثمَّ أمر ابنه العباس بن المأمون أن يبايع له أول الناس وقام الخطباء والشعراء ، فجعلوا يذكرون فضل الرضا .

وخطب للرضا بولاية العهد في كل بلد ، وبينوا أن من بعد المأمون تكون الخلافة للرضا . ولما عقد للرضا الأمر بولاية العهد ، بعث البه المأمون في الركوب الى العيد والصلاة بالناس وقد احتشد الناس على باب الرضا وقعدوا في الطرقات وعلى سطوح المنازل ، واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه ، ولما خرج (ع) خرج الناس بين يديه فمشى ورفع رأسه الى السماء . فلما رآه القواد والجند نزلوا عن ظهور الدواب ؛ فخيل للناس ان السماء والحيطان تجاوبه عندما كبّر بالناس ، وتزعزعت مرو في البكاء والضجيج ، وقد بلغ ذلك المأمون فدعاه اليه خوفاً من أن يفتتن الناس به ، وترك الناس يصلون وحدهم .

سبب وفاة الرضا

مرض الرضا (ع) في طوس ، وقد اشتدَّت به العلة وكان المأمون يأتيه في اليوم مرتين ، وقد اختلف المؤ رخون في أمر وفاته ، هل مات موتاً طبيعياً أو مضى شهيداً بالسم ، وهل سمَّه المأمون أو غيره ، والأشهر أن المأمون سمَّه ، وسبب ذلك أن الامام الرضا كان يزري على الحسن والفضل ابن سهل عند المأمون ويصف له مساوئهما ، ولما عرفا ذلك ، اخذا يسعيان لقلب رأي المأمون عليه ، فأوغرا صدره فسمَّ الطعام الذي ارسل اليه فمات شهيداً كما مات ابوه قبله مسموماً .

وقد وردت عدة روايات بشأن وفاة الامام الرضا ، قال علي بن عيسى الاربلي في كشف الغمة قد ذكر المفيد شيئاً ما يقبله نقدي ولعلي واهم وهو ان

الامام عليه السلام كان يعيب ابني سهل عند المأمون ويقبح ذكرهما ، وما كان اشغله بأمور دينه وآخرته واشتغاله باللّه عن مثل ذلك وعلى رأي المفيد أن الدولة العباسية من أصلها فاسدة وعلى غير قاعدة مرضية فاهتمام الرضا بالوقيعة فيهما حتى أغراهما بتغيير رأي الخليفة عليه فيه ما فيه ، ثم ان نصيحته للمأمون واشارته عليه بما ينفعه في دينه لا يوجب ان يكون سبباً لقتله ، كان يكفي المأمون ان يمنع الرضا (ع) من الدخول عليه أو يكفّه عن وعظه .

وقال المجلسي في البحار : إن الوقيعة في ابني سهل لم تكن للدنيا حتى يمنعه عنها الاشتغال بعبادة اللّه تعالى بل كان ذلك لما وجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع الظلم عن المسلمين مهما أمكن وكون خلافة المأمون فاسدة لا يمنع من ذلك كما نصح غيره للمسلمين في الغزوات والحروب ثم إن نصيحة الأشقياء ووعظهم بمحضر الناس يثير حقدهم وحسدهم وغيظهم .

وقال السيد محسن الأمين : الذي يقتضيه ظاهر الحال ان المأمون لما رأى اختلال أمر الملك عليه ببيعة العباسيين في بغداد لابراهيم المهدي وكان سبب ذلك بيعته للرضا بولاية العهد ، وكان الناس ينسبون ذلك الى الفضل بن سهل ، وكان الفضل يخفي اضطراب المملكة عن المأمون خوفاً من هذه النسبة ، فخاف المأمون ذهاب الملك ورأى انه لا يكف عنه سوء رأي الناقمين الاّ بقتل الرضا والفضل ، فبعث الى الفضل من قتله في حمام سرخس ودسَّ السم الى الرضا فقتله . وسواء أكانت البيعة بولاية العهد للرضا حيلة أم عن حسن نية لا يستبعد سم الرضا ، لأن النيات يطرأ عليها ما يغيرها من خوف ذهاب الملك ، والسبب الذي دعا المأمون الى قتل الفضل هو الذي دعاه الى سم الرضا ، فقتله للفضل يرفع الاستبعاد عن سم الرضا .

وقد تظاهر المأمون بالحزن عليه فتمارض ليوهم الناس أنه حزن على

دائرة المعارف الاسلامية ص ٨٨ ـ السيد حسن الأمين (الجزء الثاني)

الرضا ، ولما توفي الرضا (ع) كتم المأمون موته يوماً وليلة ، ثمَّ انفذ الى محمد بن جعفر الصادق ، وجماعة من آل ابي طالب ، فلما حضروا نعاه اليهم وبكى وأظهر حزناً شديداً وتوجعاً مريراً ، وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى الى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن فدفنه حسب رواية ابي الفرج .

هكذا توفي الامام علي الرضا ، كأنه كتب على ائمة الهدى ان يموتوا شهداء ، فانطوت بوفاته صفحة غراء من صفحات الاسلام وانتقلت الامامة من بعده الى ابنه محمد بن علي الذي بلغ من الحكمة والعلم والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه احد من مشايخ اهل الزمان ، حتى أن المأمون قد زوجه ابنته واكرمه وعظّمه لعلو مرتبته وعظيم منزلته .

الفصل الحادي عشر
دور علي الرضا في الحياة الاسلامية

إن الرسالة الاسلامية بوصفها رسالة عقائدية قد خططت لحماية نفسها من الانحراف ، وقد بلغ الأئمة المعصومون في مستواهم العقائدي أعلى الدرجات ، فالأحداث المؤلمة التي وقعت بعد وفاة الرسول الأعظم (ص) أبعدت الأئمة عن دورهم القيادي ، وسلّمت مقاليد الرسالة الى اشخاص آخرين انحرفوا عن الخط المرسوم للرسالة .

وقد وقف الامام علي الرضا كآبائه محافظاً على رسالة الاسلام ، وحصّنها ضد التردي والانحراف ، فكان اذا انحرف المأمون أسدى اليه النصح والارشاد . فيبتعد عن الخطأ والزلل ، وقد كان دوره كأدوار الأئمة دور انقاذ للدولة الاسلامية مما يهدّد سيادتها . . فدورهم الايجابي جميعا هو المعارضة القوية العميقة التي كانوا يواجهون بها الزعامات المنحرفة بارادة صلبة لا تلين وقوة نفسية لا تتزعزع ، وكان الامام علي الرضا بوصفه ولياً للعهد في زمن المأمون يشرف إشرافاً مباشراً على الشيعة بوصفهم الجماعة المرتبطة بالامام وليسوا مرتبطين بغيره ، فيحمي وجودهم وينمي وعيهم ويمدّهم بكل الأساليب التي تساعد على صمودهم ليكونوا طليعة واعية بين مواطنيهم . وسنورد قصّة الهجوم الشعبي الهائل الذي تعرض له قصر المأمون نتيجة لاغضابه علي الرضا ، فلم يكن للمأمون مناص عن الالتجاء الى الامام لحمايته من غضب الأمة فقال له الامام : « إتق الله في أمة محمد وما ولاّك من هذا الأمر وخصّك به فإنك قد ضيعت أمورالمسلمين وفوضت ذلك الى غيرك يحكم فيها بغير

حكم اللّه عز وجلّ . »

وهذا يثبت إيجابية وشعور الأمة بدور الامام الفعال في حماية الرسالة ، فالزعامات المنحرفة كان خوفها يصل الى درجة الرعب من نشاط الأئمة ودورهم الفعال في الحَياة الاسلامية . حتى انهم كانوا يضعون الأئمة في رقابة محكمة محاولين فصلهم عن قاعدتهم الشعبية ثمّ التآمر عليهم بقصد التخلص من خطرهم ، وإن تلك الاجراءات التي كانوا يمارسونها كانت تكلفهم ثمناً باهظاً من سمعتهم وكرامتهم وبالرغم من ذلك كانوا يقدمون على قتل الأئمة لشعورهم بخطورة الدور الايجابي الذي يمارسه أئمة أهل البيت الذين كانوا يقفون في وجه الانحراف .

أضف الى ذلك أنهم كانوا ينظمون جماعتهم تنظيماً متيناً ، يحلون مشاكلهم ويفضّون منازعاتهم وخلافاتهم ، فالامام علي الرضا كان يغذّي الأمة بعقيدة التشيع ويقاوم التيارات الفكرية التي تشكل خطراً على الرسالة وضربها شعوراً منه بدوره الذي هيأه له اللّه سبحانه كي يقود أمته الى الخط السليم الذي رسمه صاحب الرسالة الأول النبي محمد (ص) . وقد اكّد (الرضا (ع) المفارقات بين رسالته والحكم الواقع وبذلك خرج الاسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف وإن تشوهت معالم التطبيق في عهد المأمون .

صفاته :

قام الامام الرضا بالامامة وهو ابن تسع وعشرين سنة وشهرين وكانت أمه أم ولد اشترتها حميدة جدته أم أبيه موسى الكاظم ، وكانت أمه من أشراف العجم ومن أفضل النساء بعقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة ، حتى أنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها ، وكان علي الرضا يرتضع كثيراً ، فقالت امه أعينوني بمرضعة؛ فقيل لهاأينقص درُّك؟ قالت ما نقص درى، ولكن يفوت عليَّ وردمن صلاتي وتحميدي وتسبيحي وقالت لما حملت بابني علي الرضا لم اشعر بالثقل وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتحميداً وتهليلاً من

بطني فلما وضعته وقع إلى الأرض واضعاً يده على الأرض رافعاً رأسه الى السماء ، كانه يناجي ربّه ، فدخل أبوه فقال لي : هنيئاً لك كرمه عز وجلّ ، فناولته اياه فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى فحنكه بماء الفرات .

وقد كان علي الرضا متفوقاً في خلقه ، متفوقاً في حسن معاملته للناس ، متفوقاً في إدراكه وغوصه على الحقائق العلمية والفلسفية في عصره . ولم يكن متخصصاً في فرع من العلوم أو ناهجاً منهجاً فلسفياً خاصّاً لأن التخصص يومذاك لم يكن من مذاهب كبار العلماء وجها بذتهم ، فالعالم في القرون الهجرية الأولى هو معلم عصره يجتمع اتباعه عنده فيجدون الأدب والعلم بالأخبار ، والاحاطة بالسنة النبوية والاطلاع على التفسير الى جانب المعرفة بالمذاهب الفلسفية ، وخلاصة الآراء في الطب والرياضيات والفلك والكيمياء ، كما يجدون عنده أسرار النحو والصرف والبيان ؛ ورواية واسعة للُغات القبائل العربية ولهجاتها المختلفة ، وكان العالم في العصر العباسي مكتبة متنقلة تنطوي في أحشائها على كنوز الانسانية في كل ما ورثته من علوم الأولين وما اكتسبته من تجاربها الخاصة .

وكان الامام الرضا من هذه المعارف في القمة ، بل كان نموذجاً لانسانية المعرفة في العصر الاسلامي الذهبي ، هيأت له أسباب هذه الامامة بالاضافة الى ذكائه الوقاد وجهوده في البحث والتأمل . كان ثمرة من ثمرات أهل البيت النبوي الشريف ، ممّن كانوا في الذروة من قادة العرب وائمتهم ـ لقد كانت الركائب تحمل اليه طلاب الحكمة وأصحاب الفقه والفلسفة وعلم الكلام والعلوم الطبيعية واللغة والنحو والصرف والبيان والآداب في شعرها ونثرها والتفسير والسنة النبوية وأيام عرب الجاهلية والاسلام .

يضاف الى ذلك كله وقار وهيبة واستقامة وصدق وكرامة وحسن تصرف ، وقيادة حازمة ، وسياسة ماهرة ، ورصانة في التفكير وبعد في النظر ، ومعرفة بأحوال الناس ، وزهد بلغ حدّ التقشف ، وايمان كبير باللّه ، وابتعاد عن لذائذ الحياة ، وتعلق شديد بالحياة الآخرة ملاذ الصالحين الأبرار .

آراء المؤرخين فيه :

عاصر الامام الرضا ثلاثة من الخلفاء : الرشيد ، والأمين ، والمأمون ، وكانت أيامه فيها شيء من الحرية لما كان من ميل المأمون إليه ومعرفته بفضله فكان أعلم أهل زمانه وأفقههم وأجلّهم .

روى عنه العلماء من أنواع العلوم الشيء الكثير وأودعوه مؤلفاتهم . قال ابراهيم بن العباس الصولي : ما رأيت الرضا سئل عن شيء الاّ علمه ولا رأيت اعلم منه ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه وكان جوابه كله وتمثله انتزاعات من القرآن الكريم .

قال ابن ماجه : كان الرضا سيد بني هاشم ، وكان المأمون يعظمه ويجلّه وعهد له بالخلافة وأخذ له العهد كما رأينا في الفصل التاسع .

وقد جمع المأمون في مجلسه عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم الامام الرضا عن آخرهم حتى ما بقي منهم احد الا اقر له بالفضل واقر على نفسه بالقصور .

وفي مناقب ابن شهراشوب عن كتاب الجلاء والشفاء عن محمد بن عيسى اليقطيني : جمعت من مسائل أبي الحسن الرضا مما سئل عنه وأجاب فيه ثمانية عشر الف مسألة ، وفي المناقب عن عيون أخبار الرضا أن المأمون جمع علماء سائر الملل ، ثم أحضر الرضا فسألوه فقطع الرضا واحداً بعد واحد .

وكان المأمون أعلم خلفاء بني العباس ومع ذلك انقاد له اضطراراً حتى جعله ولي عهده وزوجه ابنته ، ويكفي في جلالة قدره وعظم شأنه بين العلماء أن الحديث المسمى بحديث السلسلة الذهبية الذي رواه عن أجداده عن رسول الله (ص) استملاه منه ما يزيد على عشرين ألفاً .

حديث سلسلة الذهب[1]

إن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) لـمـا دخل نيسابور في السفرة التي خصَّ بها بفضيلة الشهادة كان في قُبَّةٍ مستورة على بغلةٍ شهباء وقد شقَّ نيسابور فعرض له الامامان الحافظان للأحاديث النبوية والمثابران على السنة المحمدية أبو زرعة الرازي ومحمدبن اسلم الطوسي، ومعهما خلقٌ لا يحصون من طلبة العلم والحديث والدراية ، فقالا : أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحقِّ آبائك الأطهرين واسلافك الأكرمين الا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدِّك محمد (ص) نذكرك به ، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلة عن القُبَّة وأقرَّ عيون الناس برؤ ية طلعته المباركة ، فكانت له ذؤ ابتان على عاتقه والناس كلُّهم قيام على اختلاف طبقاتهم ينظرون اليه وهم ما بين صارخٍ وباكٍ ومتمرِّغ بالتراب ومقبلٍ الأرض بحضرته ، فصاح العلماء والفقهاء : اسمعوا وعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم ولا تؤ ذونا بكثرة صراخكم وبكائكم ، فقال الامام الرضا (ع) : حدَّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين ، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء ، عن أبيه عليِّ بن أبي طالب أنهُ قال : حدَّثني حبيبي رسول الله (ص) عن جبرائيل أنه قال : سمعت ربَّ العزة سبحانه يقول : كلمة لا اله الا الله حصني ومن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي ، ثمَّ أرخى الستر على القُبَّة وسار فعدوا أهل المحابر الذين كانوا يكتبون فزادوا على عشرين ألفاً .

وهذا الحديث على ما يبدو من الأحاديث المتفَّق عليها بين المحدِّثين وقد ذكره بهذا الاسناد كلُ من وصف رحلة الامام إلى خراسان . وقال ابو نعيم في حلية الأولياء : بعد أن روى الحديث المذكور ، هذا حديث ثابت مشهور بهذا الاسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطِّيبين ، ومضى يقول : لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لأفاق .

---

(١) هاشم معروف السحيني من سيرة الأئمة الاثني عشر ص ٣٩٩ .



الباب الخامس
آثار الامام الرضا

الفصل الثاني عشر

حياة الامام الرضا الاجتماعية

ان الأديان تحاول استئصال الشر ومنع التعدي ، وكف أيدي البغي ، والامام العالم هو الذي يعطي مجتمعه ولا يبخل في العطاء ، والنفع الذي ينبسط على الأمة هو غاية رجل التاريخ وصفوة البشر ، فالأئمة المعصومون تكونت عندهم مُثل عُليا حافظوا عليها للخلق من بعدهم ، فبمثل هذه المثل يُطل علينا الأئمة المعصومون ، ولكل منهم منهج خاص وسيرة مرسومة يعمل بموجبها وليس الامام صورة او نسخة عن سابقه ، لذلك فإن لكل واحد منهم خطة وكثيراً ما يتشابهون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ والهدف الكبير هو الايمان بَالله والانصراف إليه بالتسبيح والتكبير أثناء الليل والنهار .

اما طرائقهم في حياتهم فهي متباينة . فالامام الحسن سلّم بالأمر الواقع حفظاً للدين والمتدينين وترك الطلب بالخلافة حقناً لدماء المسلمين وشقيقه الحسين الذي درج معه في حجر واحد لم يدار في قول ولم يغض الطرف عن مكروه يوجهه اليه الاعداء ولما وجد ان الوقت حان للمطالبة بالأمر جاهر بالدعوة واستل السيف ومضى الى مقارعة الظلم والطغيان مع قلة أنصاره .

والامام الرضا كان مثلاً أعلى في الخُلق والخَلق ، وكان قدوة سامية لأتباعه . كان يحدب على الصغير ، ويحب الناس كلّ الناس ، ويعطف على الفقراء ، ويجزل لهم العطاء ، كان اذا جلس في مجلسه يتهيبه الناس ويفتتنون به لما يظهر عليه من وقار ؛ وكان كثير الصوم يقضي الليل قائماً يصلي .

دوره في التربية والتعليم :

إن دور الامام الرضا في التربية والتعليم لا يقارن من حيث الأهمية بدور الامام الصادق مثلاً ، في تاريخ الفكر عند الشيعة ، وذلك لأن دور الصادق كان دور تأسيس وانتشار للفكر المذكور ؟ كما أنه لا يقارن أيضاً بدور التوسع والانتعاش الذي بدأ بعد نهاية عصر الأئمة قبل نهاية القرن الثالث للهجرة .

فعلي الرضا انشغل فترة من حياته بسياسة امور الأمة حين ولّاه المأمون ولاية العهد واستقدمه لخراسان . وبالرغم من المشكلات التي أحاطت بحياته فإنه قام بدور فعال في التعليم والتربية ، وسنورد أمثلة على نشاطه في هذا الحقل ، فقد اسهم بتبليغ رسالة العلم للشيعة إسهاماً كبيراً . قال الحسن بن موسى الوشا البغدادي : كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا في مجلسه وهو مقبل على قوم يلقي إليهم العلم .

وروى يونس بن عبد الرحمن الذي كان من تلامذة الرضا : ذات مرة قال أحدهم للرضا : إني لا ألقاك كل وقت فعن من آخذ العلم ؟ فقال خذ من يونس بن عبد الرحمن .

وروى الصدوق أن عبد السلام بن صالح الهروي قال : سمعت عليَّ الرضا يقول : رحم اللّه عبداً أحيا أمرنا . فقلت له : وكيف يُحيي أمركم ؟ قال يتعلم علومنا ويعلّمها الناس .

والجدير بالذكر أن الرضا كان يشير على بعض تلامذته أن يتلقوا العلم من النابهين منهم ، وكان تلميذه زكريا بن آدم من الذين رووا عنه الحديث ، وإن كتاب عيون أخبار الرضا حوى تفصيلات وافية عن جهوده في حقل التربية والتعليم .

حياته العلمية

لا فضيلة كالعلم ، فإن به حياة الأمم وسعادتها ورقيها وخلودها. وليس في الفضائل ما يصلح الناس وينفعهم مثل العلم ، فالعالم مصلح يستطيع أن يستخرج عوالم كثيرة من غياهب الضلال ، فالعلم نور يستضاء به وشمس طالعة ونعمة يافعة ، مصباح في الظلمة ، ميراث الأنبياء ، وناموس العرفاء ، وكنز الفقراء . وعلم الدين هو علم إلهامي كسبي ، والكسبي يقع فيه الخطأ والصواب والصحة والغلط ، وخطأ العالم وغلطه يعود على العالم كله بالخطأ والغلط . فالناس أتباع العلماء في الأحكام والحلال والحرام ، واللّه جلَّ وعلا لا يريد للناس إلا العمل بالشريعة التي أنزلها والأحكام التي شرعها ، فلا بدَّ إذن من أن يكون في الناس عالم لا يخطىء ولا يغلط ولا يسهو ولا ينسى ليرشد الناس الى الشريعة المُنزلة منه تعالى ، حتى لا تقع الأمة في أشراك الأخطاء وحبائل الأغلاط ، ولا يكون ذلك الا اذا كان علم العالم وحياً إلهامياً ، من هنا كان علم الأنبياء وأوصيائهم من العلم الايحائي أو الالهامي صوناً لهم من الوقوع في الخطأ ، واللّه تعالى أنزل شريعة واحدة ونصب للأمة في كل عهد مرشداً .

فلا غرابة لو حكم العقل بأن ينصِّب اللّه سبحانه في كل عهد عالماً يدل على الشريعة كما جاءت ويأتيهم بالأحكام كما نزلت ولا يجوز ذلك الا لعليّ ، وبنيه ، فإن أهل البيت علماء الشريعة والكتاب أخذوا العلم من معدنه ورشفوه من ينبوعه الصافي ، ينبوع النبوة المحمدية .

فالامام علي الرضا كان متفوقاً في سعة إدراكه وغوصه على الحقائق العلمية والفلسفية ، كان عالماً بالأخبار والاحاطة بالسنة النبوية وعلم التفسير والفقه والطب وكما رأينا في الفصل العاشر عندما تكلمنا عن صفاته .

الحديث :

بلغ النشاط الثقافي للشيعة قمته في عصر الامام الصادق وذلك بعد أن ارتفع الضغط السياسي عن الشيعة ، وتهافت اهل العلم والمعرفة على مدرسة

الامام الصادق حتى بلغ الرواة عنه أربعة آلاف رجل ، وانصرفت طائفة كبيرة من هؤلاء لضبط ما رووه عن الامام في كتاب خاص في مواضيع الفقه والتفسير والعقائد وغيرها . وقد اصطلح التاريخ الشيعي على تسمية هذه الكتب بالأصول كما حصرها في أربعمائة اصل ، فالأصل في اصطلاح المحدثين بمعنى الكتاب المعتمد الذي لم ينتزع من كتاب آخر .

وقال الشيخ الطهراني : الأصل هو عنوان صادق على بعض كتب الحديث خاصة . وقال الشيخ عبد الله المامقاني : ربما جعل بعض من عاصرناه مرجع هذه الأقوال جميعاً إلى أمر واحد، وجعل المتحصل ان الأصل مجمع أخبار وآثار جمعت لأجل الضبط والتحفظ عن الضياع والنسيان .

هذا وقد ألف علماء اللغة كتباً جمعوا فيها ألفاظ المفردات مع بيان معانيها ، وكتباً دوَنوا فيها القواعد العربية كالصرف والنحو ، والف الامامية كتباً لجمع الحديث وكتباً لرواة الحديث وكتباً لنقد الحديث ويحوي النوع الأول المعتقدات والأنباء والأوامر والنواهي وأنواع المعاملات تتصل بالتسلسل إلى المعصوم ، والنوع الثاني يشتمل على أسماء الرواة فيذكر كل راوٍ باسمه وصفاته ويسمى هذا علم الرجال ، وفي النوع الثالث يذكر فيه النظم العامة والقواعد الكلية لمعرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها ويسمى علم الدراية ، والغرض من هذه الأنواع الثلاثة واحد وهو إثبات السنة النبوية بالطريق الصحيح . ومن كتب الحديث كتاب من لا يحضره الفقيه لمحمد بن بابويه المعروف بالصدوق فيه ٩٠٤٤ حديثاً وكتاب التهذيب لمحمد بن الحسين الطوسي فيه ١٣٠٩٥ حديثاً ، وكتاب الوافي المعروف بمحسن الفيض المؤلف من أربعة عشر جزءاً ، وكتاب الوسائل للحر العاملي المؤلف من عشرين مجلداً وغيرها كثير .

ومن كتب الرجال كتاب الرجال لأحمد بن علي النجاشي ، وكتاب الرجال للشيخ الطوسي ، ومعالم العلماء لمحمد بن علي بن شهر اشوب ، ومن الكتب المطبوعة في نقد الحديث كتاب البداية في علم الدراية للشيخ زين

الدين بن علي العاملي ، وكتاب الـوجيزة للشيخ البهائي العاملـي ، وشـرح الوجيزة للسيد حسن الصدر الى غير ذلك من الكتب .

واليك بعض الأحاديث المروية عن الامام الرضا (ع) :

عن عليٍّ مرفوعاً : أتاني ملك فقال يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول لك إني قد أمرت شجرة طوبـى أن تحمـل الـدرر واليواقيت وأصنـاف الجواهر وأن تنثر على الحور العين عند عقد نكاح فاطمة منك بأخيك علي ، وقد سر بذلك أهل السموات ، وسيولد منهـا ولـدان همـا سيدان في الـدنيا والآخرة ، وقد تزين أهل الجنة لذلك ، فلتقر عيناك يا محمد فإنك سيد الأولين والآخرين (رواه الامام علي الرضا)

وعن علي مرفوعاً : لمـا أُسـري بي إلـى السمـاء أخـذ جبـرائيل بيدي وأقعدني على درنوك من درانيك الجنة وناولني سفرجلة ، فكنت أقلبها فإذا بها انفلتت وخرجت منها حوراء ، لم أرَ أحسن منها ، فقالت : السلام عليك يا محمد ، فقلت : وعليك السلام من أنت ؟ قالت : أنـا الـراضية المـرضية خلقني الجبار من ثلاثة أصناف ، أعلاي من عنبر ووسطي من كافور وأسفلي من مسك ، عجنني بماء الحيوان ثم قال : كوني فكنت ، خلقني لأخيك وابن عمك علي بن ابي طالب (رواه الامام علي الرضا) .

وعن أسماء بنت عميس : أن النبي (ص) قد أخذ الحسين في حجره وهو يبكي قلت : فداك أمي وأبي مِمَّ تبكي ؟ قال : يا أسماء ابني هذا تقتله الفئة الباغية من أمتي ، لا أنا لهم شفاعتي ، يا أسمـاء لا تخبري فاطمـة : (رواه الامام علي الرضا)

وعن أسماء قالت : أقبلت فاطمة بالحسن ، فجاء النبي فدفعته إليه في خرقة صفراء ، فألقاها عنه ، وقال : لُفّيه بخرقة بيضاء ، فلفته فأخذه وأذّن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ثم قال : جاءني جبرائيل ، فقال : يا محمد ان ربّك يقرئك السلام ويقول لك : إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى ، فسم ابنك باسم ولد هارون شبير فسماه الـحسن ، فلما ولـد الحسين جاء

النبي وفعل مثل الذي فعله بالحسن وقال: ان جبرائيل اخبرني أن ربّك يقرئك السلام ويقول لك ان تسمي ابنك باسم ولد هارون شبير فسماه الحسين (رواه الامام علي الرضا)

وروى الامام علي الرضا : أن الحسن المجتبي دخل الخلاء فوجد لقمة ملقاة فمسحها بعودة ، فدفعها إلى رقيقه فلما خرج طلبها فقال أكلتها يا مولاي قال له : أنت حر لوجه اللّه تعالى ، ثم قال : سمعت جدي رسول الله يقول : من وجد لقمة ملقاة فمسحها أو غسلها ثم أكلها اعتقه اللّه من النار ، فلا أكون أن استعبد رجلاً أعتقه اللّه عز وجل من النار .

الفقه :

لما كان المسلمون بحاجة في مصالحهم ووقائعهم الى التشريع ، فقد بذل العلماء جهودهم وسنوا قواعد يستمدون منها أحكامهم الشرعية ، وأسموا مجموعة هذه القواعد علم اصول الفقه ، فكلمة أصول مفردها أصل والأصل في المعنى اللغوي ما يرتكز عليه الشيء .

تعريفه :

علم أصول الفقه في الاصطلاح الشرعي هو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها الى استفادة الاحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية وهي ما أخذ الشرع من قرآن وسنة وإجماع وقياس وعلى الفقيه أن يسند الاحكام إلى أدلتها ، فيدخل في الفقه تنظيم العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وتنظيم أمور الدنيا وهي إما عقوبات أو مناكحات أو معاملات .

مصادر الفقه عند الشيعة :

إن مصادر الفقه عند الشيعة هي الكتاب الكريم والسنة والعقل ، فالشيعة إذن لا يعترفون بالاجماع والقياس ، ويرجعون في الأمور التي لا نصَّ عليها

الى العقل وهذا هو الاجتهاد عندهم الذي لا يزال بابه مفتوحا بعكس أهل السنة .

موضوعه :

إن موضوع البحث في علم أصول الفقه هو الدليل الشرعي الكلي من حيث ما يثبت به من الأحكام الكلية . إنَّ القرآن هو الدليل الشرعي الأول على الأحكام ونصوصه التشريعية لم ترد على حال واحدة بل منها ما ورد بصيغة الأمر ، ومنها بصيغة النهي ، ومنها بصيغة العموم او الاطلاق فالأمر للايجاب ، والنهي للتحريم ، والعام ينتظم جميع أفراده قطعاً والمطلق يدل على الفرد الشائع .

نشأته :

نشأ علم الأصول في القرن الثاني للهجرة ، إذ في القرن الأول الهجري لم تكن حاجة اليه لأن الرسول كان حياً وهو كان يفتي الناس ويقضي بينهم بما يوحى اليه من ربه من القرآن المجيد ، وبما يلهم به من السنن من غير حاجة إلى اصول وقواعد يتوصل بها الى الاستنباط والاجتهاد ، وأصحابه كانوا يفتون ويقضون بالنصوص التي يفهمونها .

ولما بعد العهد بفجر التشريع واحتدم الجدال بين أهل الحديث وأهل الرأي ، دعا ذلك الى وضع ضوابط وبحوث في الأدلة الشرعية ، وشروط الاستدلال بها وكيفيته. ومن مجموعة هذه البحوث تكون علم أصول الفقه . وان اول من دوّنه أبو يوسف صاحب ابي حنيفة . وأول من دوّن من قواعد هذا العلم وبحوثه مجموعة مستقلة مرتبة هو الامام محمد بن ادريس الشافعي المتوفي ٢٠٤ هـ .

ومن اشهر الكتب الأصولية التي ألفت على الطريقة الشافعية والمالكية في الاستنباط : كتاب المستصفى لأبي حامد الغزالي ، وكتاب المنهاج

للبيضاوي الشافعي ، ومن اشهر الكتب على الطريقة الحنفية في الاستنباط : أصول ابي زيد الدبوسي المتوفي ٤٣٠ هـ ، وكتاب المنار للحافظ أبي البركات النسفي المتوفي ٧١٠ هـ وله شروح كثيرة (شرح المصنف المسمى كشف الأسرار .

أما الشيعة فإن أول من أسس أصول الفقه منهم وفتح بابه هو الامام محمد الباقر ، ثم بعده الامام جعفر الصادق وقد أمليا على أصحابهما قواعد الأصول وجمعوا من ذلك مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب المصنفين فيه **بروايات مسندة اليهما متصلة الاسناد .**

وكتب مسائل الفقه المروية عنهما موجودة منها كتاب أصول آل الرسول جمعه هاشم بن زين العابدين الأصفهاني المتوفي ١٣١٨ هـ . وأول من صنف فيه من الشيعة هشام بن الحكم تلميذ الامام الصادق ، فإنه صنف كتاب الألفاظ ومباحثها ، ثم يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين ، فإنه صنف كتاب اختلاف الحديث ومسائله وهو مبحث تعارض الحديثين ومسائل التعادل والترجيح في الحديثين المتعارضين رواه عن الامام موسى بن جعفر ، ومشاهير أئمة علم أصول الفقه الأوائل من الشيعة هم : ابو سهل النوبختي ، اسماعيل بن علي بن اسحق بن ابي سهل الفضل بن نوبخت من أهل القرن الثالث ، له مصنف كتاب ابطال القياس ، وكتاب نقض اجتهاد الرأي علي بن الراوندي وهذان الكتابان من مباحث علم أصول الفقه .

فقه الامام الرضا

من المؤلفات المنسوبة إليه عليه السلام كتاب الفقه الرضوي وقد كثر الجدل بين العلماء حول هذا الكتاب ، فهناك من اعتبره واعتمد عليه وبنى على صحته ، كالمجلسيين ، والسيد بحر العلوم ، وصاحب الحدائق والشيخ النوري وغيرهم ، الا أن جمهور المحققين من العلماء ، ذهبوا الى عدم الوثوق بكونه من تأليف الامام الرضا لافتقار ذلك الى الدلائل غير المتوفرة

لديهم .

وقصة ظهور هذا الكتاب أن جماعة من أهل قم ، أحضروا نسخة الى مكة المكرمة ، فرآها القاضي الأمير السيد حسين الاصفهاني فجزم بأنه من تأليف الرضا فاستنسخه واحضره معه الى اصفهان فأراه المجلسي الأول فجزم بصحة نسبته وكذلك ولده المجلسي الثاني الذي فرق أحاديثه على مجلدات البحار وجعله أحد مصادر كتابه المذكور فاشتهر من ذلك اليوم .

وقال المجلسي في مقدمات البحار : كتاب فقه الرضا اخبرني به السيد الفاضل المحدث القاضي أمير حسين طاب ثراه .

والذي يجعلنا نشك في صدق النسبة أن الشيخ الصدوق ، الذي اهتمَّ في جمع آثار الرضا واستقصاء، أخباره في كتابه عيون أخباره لم يشر الى وجود هكذا مؤلف له . كما ان القميين وغيرهم لم يتعرضوا له بذكر ، ومن العجب العجاب ان يكون الكتاب مغموراً هذه المدة الطويلة بين ايدي القميين ولم يطلع عليه احد من علمائهم ، وأصحاب الحديث منهم .

ولهذا كله لا يسعنا أن ننسب الكتاب كمؤلف للامام نعتمد عليه في الفتوى وتحرير الأحكام .

وللامام علي بن موسى الرضا آراء واسعة وقيمة في الفتاوى والاجابة عن الأسئلة التي كانت توجه اليه نذكر على سبيل المثال بعضاً منها :

سئل الرضا عن رجل اعتق كل مملوك قديم . فقال يعتق من مضى له في ملكه ستة اشهر لقوله تعالى : « والقمرقدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » وبين العرجون القديم والحديث ستة اشهر .

وسأله الفضل بن سهل في مجلس المأمون : الناس مجبرون فقال : اللّه اعدل من أن يُجبر ثم يُعذِّب ، قال : فمطَلقون ، قال : اللّه أحكم من أن يُمهل عبده ويكله إلى نفسه .

وسئل أيكلف الله العباد مالا يطيقون ؟ قال : هو أعدل من ذلك ، قال يستطيعون أن يفعلوا ما يريدون قال : هم أعجز من ذلك .

ورأى المأمون يوماً يتوضأ والغلام يصب على يده فقال : يا أمير المؤمنين لا تشرك بعبادة ربك أحداً ، فصرف الغلام .

وذات مرة قال له المأمون ما مضمونه : بِمَ فضلتم علينا والطينة واحدة فقال : أرأيت لو كان رسول الله (ص) حياً وخطب إليك ابنتك أكنت مزوِّجه إياها ؟ فقال : ومن يرغب بنفسه عن رسول الله ، نعم كنت أزوجه وأفتخر بذلك على جميع الناس ، فقال اما انا فلا يخطب إلي ولا أزوجه . فسكت المأمون .

وأُثرت عن الرضا مؤلفات كثيرة في علوم الطب وفي الدين رواها عنه أكابر العلماء بأسانيدهم المتصلة كما روي عنه الكثير من المواعظ والحكم والأدعية . ولا عجب في ذلك فإنه عليه السلام من تلك السلالة الطاهرة ، ومن تلك الصفوة المختارة من بيت النبوة المحمدية التي توجهت بكل امكانياتها نحو العطاء المثمر والكفاح المستمر والجهاد الدائب لتكون القدوة لشيعتها وأتباعها ، ولتؤهلهم لنقل الرسالة من جيل الى جيل ، وليحتلوا مراكز الصدارة بين البشر في العلم والمعرفة والتقى والورع والايمان بالعدل والتوحيد والنبوة والامامة والمعاد .

الرسالة الذهبية في الطب :

إنِ الرسالة الذهبية في الطب من أنفس تراثنا الاسلامي فقد جاءت بليغة شاملة حوت علم التشريح وعلم الأحياء وعلم وظائف أعضاء الجسم وعلم الأمراض ، وعلم حفظ الصحة ، وقسماً من الطب الوقائي وعلم الأغذية وعلم الكيمياء . وقد بعث الامام برسالته هذه إلى الخليفة المأمون سنة ٢٠١ هجرية في وقت كان الطب بدائياً ودراسته كانت بصورة غير علمية مبنية على الممارسة وليست وفق الاكتشافات العلمية ، وقد جاءت الرسالة بسيطة بظاهرها لمحاشاة

عقلية ذلك الزمان الا أنها عميقة تحتاج الى دراسات علمية وبحوث طويلة لتفسير ما غمض من أسرارها .

وقد أعرب المأمون عن تقديره للرسالة فقد أمر بأن تكتب بالذهب ، وتوضع في خزانة الحكمة ومن هنا سميت بالرسالة الذهبية . وقال المأمون في إطرائها : أما بعد فإني نظرت في رسالة ابن عمي الأديب والفاضل الحبيب والمنطقي الطبيب ، في اصلاح الأجسام وتدبير الحمام ، وتعديل الطعام ، فرأيتها في أحسن التمام ، ووجدتها في أفضل الإنعام ،ودرستها متدبراً ورددت نظري فيها متفكراً ، فكلما أعدت قراءتها والنظر فيها ، ظهرت لى حكمتها ولاحت لي فائدتها ، وتمكنت من قلبي منفعتها ، فوعيتها حفظاً وتدبرتها فهماً ، إذ رأيتها من أنفس العلائق وأعظم الذخائر وأنفع الفوائد .

لذلك امر ان تكتب بماء الذهب وتحفظ في خزانة الحكمة . وقد تصدى لشرح الرسالة عدد وفير من العلماء وأبانوا عن كوامن أسرارها وخفاياها وآخر من شرحها مقارناً لنظرياتها مع أحدث ما توصل اليه العلم من اكتشافات حديثة هو الدكتور عبد الصاحب زيني في سلسلة ملتقى العصرين .

وهكذا فإن الرسالة الذهبية في الطب هي من أنفس الذخائر التي ورثناها عن الأئمة الهداة وهي بحق غنية بالمعلومات العلمية ، وكنز ثمين وسع كلّ شيء من فروع الطب ، مما يدل على عظمة الامام ومدى تفكيره وتحليله فالأئمة قبله كان الطب عندهم نظرياً ، وقد جمع العلماء كثيراً من كلامهم في ذلك واسموه (طب الأئمة) . كما أن القرآن الكريم الذي جاء تبياناً لكل شيء جمع الطب في كلمتين وهما قوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

فلا غرابة إذن لو كان العلماء بما في القرآن علماء في الطب أيضاً وكان ما يظهر منهم من البيان عن طبائع الأشياء والأمزجة والمنافع والمضار يرشدنا إلى وجود هذا العلم لديهم .

التفسير عند الامام

إن أهل البيت عندما يفسرون القرآن الكريم يعتمدون على الفهم العرفي العام في الفهم الدلالي للآية، ويبعدون عن التأويلات غير المناسبة مع السياق العام والخاص بها . وقد منحهم اللّه سبحانه ملكة العلم والمعرفة وقال في كتابه الكريم : « ولا يعلم تأويله الا اللّه والراسخون في العلم » . فالراسخون في العلم هم النبي وأهل بيته من الأئمة الأطهار دون غيرهم .

إن الامام الرضا ليس له كتاب في التفسير، وانما فسّر آيات عرضها عليه الآخرون . سأله المأمون يوماً : عن تفسير بعض الآيات مستطلعاً ما منحه اللّه من علم في تأويلها منها :

قوله تعالى : وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » .

فقال : إن اللّه تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة ، قبل خلق السموات والأرض ، فكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش وبالماء على اللّه عز وجل ، ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة ، فيعلموا أنه على كل شيء قدير ، ثم دفع العرش بقدرته ، ونقله وجعله فوق السموات السبع ، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وهو مستو على عرشه وكان قادراً ان يخلقها في طرفة عين ، ولكنه تعالى خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء ، فُيستدل بحدوث ما يحدث على اللّه مرة بعد مرة ، ولم يخلق اللّه العرش لحاجة به إليه ، لأنه غني عن العرش وعن جميع ما خلق ، لا يوصف بالكون على شيء لأنه ليس بجسم تعالى عن صفة خلقه علواً كبيراً .

وأما قوله : ليبلوكم أيكم أحسن عملاً : خلقهم ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته ، لا على سبيل الامتحان والتجربة ؛ لأنه لم يزل عليماً بكل شيء . وهكذا فإن التدرج في الابداع والخلق يؤصل الشعور ويعمقه بعظمة الخالق

المبدع أكثر مما إذا كان دفعة واحدة .

هذا وان الامام الرضا عليه السلام كان يبسط في البيان الذي يعتمده في تفسيره ليعطي للآية وضوحاً وسهولة كي يتمكن أي فرد من أن يستوعب ذلك التفسير بما فيه من روعة وجمال وإبداع .

مناظرته مع رأس الجالوت عالم اليهود :

كان المأمون يحاول إقحام الامام في مواطن شتى في معترك الحوار المعقد مع سائر الفرق والملل وأصحاب المذاهب المختلفة ، فكانت تعقد الندوات العلمية والفكرية ويدعي لها العلماء وزنادقة العصر وأصحاب الجدل ، وكان الامام يخرج منتصراً من تلك الندوات رافع الرأس عالي الجبين ، لقوة البرهان الذي كان يعتمد عليه ولاعتماده أسلوباً منهجياً هادئاً في التحليل .

وقد ناظر الامام الرضا رأس الجالوت عالم اليهود وذلك لإثبات نبوة محمد (ص) من خلال الكتب السماوية السابقة ، فبعد أن احتج الامام بأن من علائم النبوة الاتيان بما يعجز الخلق عن قبله ، سأله عن السبب في عدم تصديقهم بمن أتى بالمعجز من الأنبياء غير موسى بن عمران ؛ فأجابه رأس الجالوت : بأنه لا يجب علينا الاقرار بنبوة من ادعاها حتى يأتي من الاعلام بمثل ما جاء به موسى .

فقال الرضا : كيف اقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى ولم يفلقوا البحر ، ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ، ولم يقلبوا العصا حية تسعى ؟

فرجع رأس الجالوت عن عناده مستسلماً للحجة ، معترفاً بأن اي معجزة خارجة عن قدرة البشر دليل النبوة .

ثم يسأله الامام عن عدم ايمانهم بنبوة عيسى بن مريم ، مع أنه جاء

بالمعجزة التي يعجز البشر عن مثلها وهي إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وعن السبب بعدم إيمانهم بمحمد مع أنه جاء بالمعجز العظيم وهو القرآن الكريم مع كونه أمّياً .

فسكت الجالوت وانقطع عن الكلام لأن الامام أفحمه بالحجة والبرهان ، فجّر الجالوت ذيول الهزيمة ولاذ بالصمت ولا عجب في ذلك فهو أمام إمام من أئمة الهدى وعلَم من أعلام الفكر النير ، وقائد لا يهزم ومحدِّث لبق لا يُغلب .

واجب الوجود والتوحيد

قال اللّه في كتابه الكريم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو اللّه أحد ، اللّه الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

إنّ الله سبحانه واحد احد فرد صمد ليس كمثله شيء ، قديم أزلي هو الأول والآخر ، هو الحاكم العادل ، هو الغني السميع البصير ، ليس له جسم ولا صورة ولا حركة ولا سكون ولا مكان ولا زمان ولا صاحبة له ولا ولد ، ولا شريك ولم يكن له كفواً احد ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

وخلاصة رأي الامام أن اللّه سبحانه واحدُ في ذاته ووجوب وجوده ، وواحد في صفاته وواحد في العبادة بحيث لا تجوز عبادة غيره . لأنه لا شريك له في ملكه وهو قديم غير حادث ، وقال تعالى في كتابه الكريم : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » .

ان اللّه واحد ، واحديّ الذات بائنٌ من خلقه وهو بكل شيء محيط بالاشراف والاحاطة والقدرة لا يغرب عنه ذرة في السموات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، فالله ذات لا تدركها الأبصار في دنيا وآخرة ، في حياة وموت .

ـ علم التفسير ـ

نزل القرآن الكريم بلغة العرب : إنا انزلناه قرآنا عربياً » لا يقتضي ذلك أن العرب جميعاً كانوا يفهمون مفرداته كلها وتراكيبه ، فهناك آيات مبينة الأهداف واضحة المعاني استطاع جمهور المؤمنين أن يفهمها بسهولة وهي تتعلق بأصول الدين ، وقصص الأمم الغابرة ووصف الجحيم والنعيم .

وهناك آيات بلغت غاية الوضوح : قل هو اللّه أحد ، وهو على كل شيء قدير وهذا يتساوى في تفسيره العالم والجاهل .

وهناك آيات لم يستطيعوا فهمها :

ويقولون حجراً محجوراً . . لا يبغون حِوَلاً ، ومثل هذا يجوز أن يفسره من عرف اللغة العربية صناعة وذوقاً دون الجاهل ، ومنها المتشابه وهو ما اشتبهت معانيه ، وإنما يقع الاشتباه في أمور الدين كنفي التشبيه والجور عن اللّه تعالى . وقد بين صاحب مجمع البيان الحكم المتشابه عند تفسير : « وما يعلم تأويله الا اللّه والراسخون في العلم » . آل عمران . قال إن الراسخين في العلم هم الضابطون له المتقنون فيه .

ولا يجوز الامامية لأحد أن يستنبط الأحكام الشرعية من القرآن الا اذا درس مع العلوم العربية العلوم الدينية كالأصول والفقه والحديث ووقف على اسباب النزول واجتنب الغلو لأنَّ في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ومجملاً ومبيناً .

فمن المنسوخ قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج » البقرة ٢٤١ . فكان على المرأة اذا مات زوجها أن تعتد سنة كاملة بحكم هذه الآية ثم نسخت بالآية ٢٣٥ البقرة : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربص بأنفسهم اربعة أشهر وعشراً » . فاستقر حكم عدة الوفاة على المرأة أربعة اشهر وعشرة أيام . ومن الآيات التي لا يؤخذ بعموميتها ١٧٧ البقرة : « يا أيها الذين امنوا كتب عليكم

القصاص في القتلى الحرّ بالحر » .

أما الصحابة فكانوا أقدر الناس على فهم القرآن لأن كثيراً منهم كان يلازم النبي ويطلع على أسباب النزول ويشهد الحوادث ، ومع ذلك فقد كانوا يلجأون الى الرسول في تفسير ما صعب عليهم تفسيره ، حتى إذا لحق الرسول بالرفيق الأعلى واتسعت الرقعة الاسلامية واحتاج المسلمون في عهدهم الجديد إلى قوانين تنظم حياتهم ، انكبوا على القرآن يعتمدونه مرجعاً اساسياً للتشريع ويفسرون آياته ويعملون فيها .

مصادر التفسير

إن مصادر التفسير ثلاثة :

الأول : التفسير المنقول : هو الذي روي عن رسول الله (ص) كتفسيره للصلاة الوسطى التي اشار اليها القرآن الكريم بأنها صلاة العصر ، وكتفسيره بأن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر ، وقد مازج هذا التفسير المنقول كثير من الوضع شأنه في ذلك شأن الحديث ، مما حمل بعض العلماء على انكاره والقول بعدم صحة جميع ما روي عن الرسول ، ولكن أفضل التفاسير هو تفاسير الأئمة المعصومين .

الثاني : الاجتهاد أو الرأي ، وهو يقضي بأن يعرف المفسر أساليب العرب في القول ، وان يتمكن من اللغة ويطلع على اسباب التنزيل ، وقد انقسم الصحابة والتابعون فيما يتعلق بالاجتهاد الى قسمين : قسم يتهيب أن يقول في القرآن شيئاً برأيه ، وقسم يرى انه يجب على من يريد التفسير ان يستكمل الأدوات التي تمكّن من صحة الفهم وسلامة المنطق .

الثالث : حب المعرفة : أو فضول المعرفة الذي كان هذا حافزاً للعقول وباعثاً إلى الاستقصاء ، ومن أجل هذا كان الصحابة والتابعون يتساءلون اذا ما سمعوا قصة أهل الكهف مثلاً عن لون كلبهم ، واذا تلي عليهم قوله تعالى فخذ

أربعة من الطير ، قالوا : ما انواع هذا الطير ؟

ان هذا الميل الطبيعي عند الانسان لاستكناه الغوامض والأسرار كان سبباً من الأسباب التي أدت الى نشوء حركة التفسير .

طبقات المفسرين

أولاً : طبقة الصحابة واشتهر منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد اللّه بن عباس وعبد اللّه بن مسعود وأبي بن كعب . وقد أحاطهؤ لاء إحاطة تامة باللغة العربية وذلك لملازمتهم للرسول الأعظم ومعرفتهم بأسباب التنزيل وعدم تحرجهم من الاجتهاد . والجدير بالذكر أن كثيراً من الرواة وضعوا كثيراً من التفاسير ونسبوها الى الصحابة وبصورة خاصة الى ابن عباس وعليّ .

ثانياً : طبقة التابعين وهم الذين أخذوا عن الصحابة فقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس الذين اخذوا عنه : مجاهد وهو أوثقهم ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولاه وسعيد بن جبير .

واشتهر من تلاميذ عبد اللّه بن مسعود في العراق : مسروق بن الأجدع وعلقمة بن قيس والأسود بن زيد والنخعي . ومن التابعين مالك بن انس والحسن البصري وعطاء بن ابي مسلم .

الثالث : طبقة المصنفين ، وهم الذين جاؤا بعد عصر الصحابة وكبار التابعين وقد أخذوا يؤلفون كتب التفسير على طريقة واحدة بأن يذكروا الآية وما روي في تفسيرها عن الصحابة والتابعين بالسند وأشهر هؤلاء العلماء سفيان ابن عيينه من علماء الحجاز ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ، ومن المؤسف أن تفاسير هذه الطبقة لم تصلنا وانما وصلت إلينا تفاسير الطبقة التي تلتها .

واشهر التفاسير المعروفة : تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) وتفسير الزمخشري : الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل .

السيوطي الجلالين البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وتفسير الرازي .

وابرز المحاولات لتفسير القرآن في العصور الحديثة محاولة الطنطاوي جوهري ، ثم محاولة الشيخ محمد عبده ، والشيخ رضا (تفسير المنار) ولا شك ان الحاجة ملحة لوضع تفاسير جديدة على ضوء التطور العلمي والاجتماعي الحديث .

كتب التفسير للامامية

للامامية عدة كتب للتفسير : مجمع البيان للطبرسي ، وكتاب التبيان للشيخ الطوسي ، وتفسير النعماني لمحمد بن ابراهيم ، وآلاء الرحمن للشيخ جواد البلاغي ، وقلائد العقيان في تفسير آيات الأحكام للشيخ أحمد الجزائري ، وزبدة البيان في تفسير آيات الأحكام لملاّ أحمد الأروبيلي ، وكنز العرفان في آيات الأحكام للمقداد بن عبد الله البوري ، وغيرها .

الفصل الثالث عشر

أدلة إمامة الرضا :

ان لكل امام أدلة عرفت عنه وكلها تشهد بعصمته ووجوب الاقرار بإمامته ، وقد أوضح الامام الرضا ذلك في جواب من سأله :

بأي شيء تصح الامامة لمدعيها؟

قال : بالنص والدليل .

فدلالة الامام هي في العلم واستجابة الدعوة .

قال : فما وجه إخباركم بما يكون ؟
قال : ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله (ص)
قال : فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس ؟
قال : أما بلغك قول الرسول اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه .
قال : بلى .
قال : وما من مؤمن الا وله فراسة ، ينظر بنور اللّه على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله للأئمة منا ما فرّقه في جميع المؤمنين ، وقال اللّه في كتابه العزيز : « إن في ذلك لآيات للمتوسّمين » . وأول المتوسِّمين رسول اللّه ، ثم أمير المؤمنين من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة » .

بهذا يحدد لنا الامام الرضا الصفات التي يجب أن تتوفر في الامام ليكون إماماً ، والجهة إلتي يجب أن تتولى اختياره ، بما يتفق وطبيعة الفطرة الانسانية

والموازين العقلية التي هي الحكم الفصل في مثل هذه المقامات .

قصة كلام الامام الرضا في شأن القائم المهدي

اخرج الحمويني الشافعي في فرائد السمطين عن أحمد بن زياد عن دعبل بن علي الخزاعي قال أنشدت قصيدة لمولاي الامام علي الرضا أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصاتِ
أرى فَيأهم في غيرهم متقسماً وأيديهُم من فيئهم صَفِراتِ
وقبر ببغدادٍ لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفاتِ

وقال لي الرضا : الحقْ هذين البيتين بقصيدتك ، قلت بلى يا ابن رسول الله فقال :

وقبر بطوسٍ يا لها من مصيبة الحَّت على الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرِّج عنَّا الهمَّ والكُرباتِ

قال دعبل : ثم قرأت باقي القصيدة عنده فلما انتهيت الى قولي :

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقماتِ

بكى الرضابكاءاً شديداً ثم قال: يا دعبل نطق روح القدس بلسانك أتعرف من هذا الامام ؟ قلت : لا إني سمعت خروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً . قال : إن الامام بعدي النبي محمد وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم ، وهو المنتظر في غيبته

ص ١١٥ ينابيع المودة ـ العلامة الشيخ سليمان الشيخ ابراهيم ـ الجزء الثالث .

المطاع في ظهوره ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت جورا وظلما ؟ وأما متى يقوم فإخبار عن التوقت ، لقد حدثني ابي عن آبائه عن رسول اللّه ، قال : مثله كمثل الساعة لا تأتيكم الا بغتةً .

هكذا كان الأئمة المعصومون يعتقدون بخروج إمام منهم يملأ الدنيا عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وأنه آخر الأئمة المعصومين وهو المهدي المنتظر الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار فإذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً خرج فملأها عدلاً وقسطاً فمن ينكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل الله على محمد ، وكمن أنكر نزول عيسى وخروج الدجال . وإنه هو الذي يقسم المال بالسوية بين الناس ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب .

وقد ذكر في كتاب الغيبة عن احمد بن اسحق بن سعد الأشري ، قال : دخلت على أبي محمد الحسن العسكري ، وأنا اريد أن اسأله عن الخلف بعده قال لي قبل إظهاري ، يا أحمد : إن اللّه تبارك وتعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم إلى ان تقوم الساعة من حجة على خلقه ، به يدفع البلاء عن أهل الأرض ، وبه ينزل الغيث وبه تخرج بركات الأرض ، قال : فقلت له يا ابن رسول الله جعلت فداك فمن الامام والخليفة بعدك فنهض مسرعاً ودخل بيته ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين ، فقال يا أحمد : لولا كرامة اللّه عليك ما عرضت عليك ابني هذا ، انه سمي رسول اللّه وكنيه ، وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، يا أحمد مثله كمثل الخضر في طول العمر واللّه ليغيبنّ غيبة لا ينجو الناس في زمان غيبته من ضعف الدين الاّ من ثبته اللّه على القول بامامته فقال احمد : قلت يا مولاي هل من علامة له يطمئن قلبي فنطق الصبي وقال : يا أحمد ، أنا بقيّة اللّه في ارضه ، وأنا المنتقم من اعدائه ، فلا تطلب إماماً غيري من بعد أبي ، أنا أمرٌ من أمر الله وسر من سرّه ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين تكن

ص ١٢٠ ينابيع المودة ـ نفس المصدر .

إحسانه .

فضل زيارة الرضا

قال رسول الله (ص) ستدفن بضعة مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمن الا أوجب اللّه له الجنة وحرم جسده على النار ، وقال عليٌّ امير المؤمنين سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم ظلماً اسمه اسمي واسم ابه اسم موسى ، ألاَ فمن زاره في غربته غفر اللّه ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر . وقال الكاظم من زار قبر ولدي عليّ كان له عند اللّه سبعون حجة مبرورة .

وروى الصدوق في العيون بسنده عن الرضا قال : لا تشد الرحال الى **شيء من القبور الآ إلى قبورنا ، ألا واني مقتول بالسم ظلماً** ومدفون **في موضع** غربة ، فمن شدّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر الله ذنبه ، وقال الرضا : إني سأقتل بالسم مظلوماً وأدفن الى جنب هارون الرشيد ، ويجعل اللّه تربتي محجة شيعتي وأهل محبتي . وقال خراساني للرضا : رأيت رسول الله (ص) في المنام كأنه يقول لي : كيف أنتم اذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي ، وغيب في ثراكم نجمي . فقال له الرضا : أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة من نبيكم ، وأنا الوديعة والنجم ، ألاَ فمن زارني وهو يعرف ما أوجب اللّه من حقي وطاعتي ، فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة .

وتروي الأحاديث أن أفضل زيارة للامام الرضا هي في شهر رجب .

وقد عبر علي بن عبد اللّه الخوافي عن طيب ثرى الامام الذي دفن بسناآباد في مرتبة له يذكر فيها :

يا قبر طوس سقاك اللّه رحمته	ماذا ضمنت من الخيرات يا طوسُ
طابت بقاعك في الدنيا وطاب لها	شخص ثوى بسناآباد مرموسُ

شخص عزيز على الاسلام مصرعه في رحمة اللّه مغمور ومغموسُ
يا قبره أنت قبر قد تضمنه حلم وعلم وتطهير وتقديسُ
فخراً فإنك مغبوط بجثته وبالملائكة الأطهار محروسُ
في كل عصر لنا منكم إمام هدى فربعه آهل منكم ومأنوسُ
أمست نجوم سماء الدين آفلة وظل أسد الشرى قد ضمّها الخيسُ
غابت ثمانية منكم وأربعة ترجى مطالعها ما حنت العيسُ
حتى متى يظهر الحق المنير بكم فالحق في غيركم داج ومطموسُ

« الخاتمة »

في حياة الرضا أمور نواصع وأضواء لوامع تزيد في فخر هذه الأمة التي لم تتعطل مفاخرها ، وتفتح سبلاً للهداية لم تغلق مفاتحها . إن الامام الرضا مفخرة من مفاخر المسلمين لم تذهب قط وانما بقي فيها في كل غد قادم حتى القيامة صوت صارخ من حروفها يعلم الزهاد زهداً ويكسب العلماء علماً .

لقد انصرف الامام كما رأينا الى تلقين أتباعه أحكام الشريعة الاسلامية وإلى توجيههم توجيهاً دينياً صالحاً ، والى أن يسلكوا مسلكاً اجتماعياً معيناً ليكونوا مثال المسلم الصحيح العادل ، وعلى الجملة فكتب الحديث الضخمة متكلفة بما نشره الأئمة من تلك المعارف الدينية ، ونحن سنذكر هنا بعض هذه الآداب :

عقيدة الدعاء : ان الأدعية الواردة عن النبي وآل بيته خير منهج للمسلم تبعث في نفسه قوة الايمان والعقيدة ، وروح التضحية في سبيل الحق ، وتعرفه لذة مناجاة اللّه تعالى والانقطاع اليه ، وتبعده عن المفاسد والأهواء والبدع الباطلة وقد أودعت في هذه الأدعية خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفس ، ومن ناحية العقيدة الاسلامية وهي من أهم مصادر الآراء الفلسفية والمباحث العلمية في الآلهيات والأخلاق .

عقيدة زيارة القبور :

امتاز الأئمة بالعناية في زيارة القبور : قبور النبي والأئمة عليهم السلام وتشييدها وإقامة العمارات الضخمة عليها ومرد ذلك أن الأئمة كانوا يحثون اتباعهم على الزيارة وترغيبهم فيما لها من الثواب عند اللّه ، وان تلك الزيارات تجدد في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم في سبيل الحق ويجتمع في مواسمها المسلمون على صعيد واحد فيتعارفون ويتآلفون .

ونرى حتى يكون الرجل شيعياً يجب أن يكون مطيعاً لأوامر اللّه مجانباً لهواه آخذاً تعاليم الأئمة وإرشاداتهم ، ومن أكبر ما كان يعظمه الأئمة على الانسان من الذنوب العدوان على الغير والظلم للناس اتباعاً لما ورد في القرآن الكريم : « ولا تحسبنَّ اللّه غافلاً عما يعمل الظالمون . انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . وقال إمام البلغاء وسيد الحكماء عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام : والله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت . وحَذر الأئمة التعاون مع الظالمين عملاً بقول الكتاب : ولا تركنوا الى الذين ظلموا ، فتمسكم النار ومالكم من دون اللّه من اولياء ، ثم لا تنصرون » .

كما حذر الأئمة معاونة الظالمين ولو بشق تمرة ، ولكنهم أجازوا ولاية الجائر اذا كان فيها صيانة العدل وإقامة حدود اللّه والاحسان الى المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد دعا الأئمة الى الوحدة الاسلامية . وحرصوا على بقاء عز الاسلام وان كان ذو السلطة ، من ألدّ أعدائهم وينجلي ذلك في موقف الامام زين العابدين من ملوك بني امية ، وهو الموتور لهم والمحزون على ما صنعوا مع أبيه وأهل بيته في واقعة كربلاء وكان يدعو لجيوش المسلمين بالنصر وللاسلام بالعز وللمسلمين بالدعة والسلامة وكان سلاحه في نشر المعرفة هو الدعاء .

وكفى أن نقرأ وصية الامام موسى بن جعفر لشقيقه : لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم فإن كان عادلاً فاسألوا اللّه بقاءه وان كان جائراً فأسألوا اللّه إصلاحه ، فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم وان السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم .

كما ان الدين الاسلامي دعا الى التآخي بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم وميولهم . بمثل هذا وصف الأئمة الأطهار اولئك الذين شقوا طريق الخلاص لشيعتهم وأوضحوا لهم السبل ، وأبانوا لهم الحق مضيئاً كالشمس ، وبهذه المثل العليا توجهوا اليهم لتسمو أرواحهم فوق الاعتبارات المادية ،

وتتكون في نفوسهم عقيدة العدل والاحسان فيتجنبون الهوى ويشتغلون فيما يصلح أمر آخرتهم ودنياهم وفيما يرفع قدرهم عند اللّه ويتقون يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل .

وهكذا فقد رأينا ان الشيعة هم الطائفة المختارة من المسلمين الذين انطلقوا في الأرض يوطدون أركان عقيدتهم ويوسعون أرجاء تعاليمهم ولم تكن الروح التي حملوها الى الأمم المغلوبة تلك الروح الحاقدة المتعالية ، التي تعود الفاتحون أن يحملوها ليذلوا الشعوب المهزومة ، وليسحقوا كبرياءها وكل إرثها الوطني بل حملوا اليها روح التسامح والتعاطف والألفة والمحبة .

وحين حكموا وصار لهم مُلك ، وجدوا امامهم حضارات قائمة فلم يطمسوا بالعدوان هذه الحضارات ولم يقابلوها بالعداء والكبت ليفرضوا على الناس ما يحملون من صفات التميز ولكنهم حاولوا ان يتفهموا تلك الحضارات ، وان يأخذوا منها ما يناسب ذوقهم وحاجتهم وأن يهادنوا الأنظمة القائمة وان يميزوا بين الصالح منها والطالح فيبقوا الأول ويقضوا على الثاني ، إلا ان تأثر حضارتهم لم يكن متساوياً ولا شاملاً لشتى نواحي الحياة ، فقد أخذوا عن الفرس تنظيم الادارة والمجتمع والأدب والحكمة ، وعن اليونان نقلوا العلوم والفلسفة وتبنوا تلك العلوم وتلك الفلسفة، وقيضوا لها بعد أن زادوا عليها أن تعبر على أيديهم الى الغرب ، الذي ظلّ حتى ذلك الحين غارقاً في ظلمات الجهل والرجعية .

كما ان الاسلام قد جاء بمثل جديدة ليشيعها في مجتمع مفكك متباغض يسوده النزاع ومنطق القوة وأول هذه المثل هي المساواة في تطبيق القوانين وفي المثول امام القضاء وفي طلب الوظائف وفي دفع الضرائب لا فرق في ذلك بين رفيع ووضيع ، وكانت هذه المساواة عامة في كل شيء . كما أن النبي محمداً نادى بالأخوة التي لم تكن عنده مجرد عاطفة بل انه طبقها عملياً فلقد آخى بين المهاجرين والأنصار حتى تقاسموا الأموال والبيوت واختص الفقراء بحظٍ موفور من موارد الدولة حتى اذا ازدادت هذه الموارد ندر ان تجد فقيراً وقد تمشى

الخلفاء الراشدون من بعده على هذه السنة ، كما تمشى ايضاً الأئمة المعصومون على هذا المبدأ . اما الحريات العامة فقد ضمنها الاسلام ، فأباح حرية الفكر والعقيدة وحرية القول والعمل بالاضافة الى الحرية الشخصية . وقد اجتمعت في شخص النبي محمد السلطات العليا كلها التشريعية مستوحاة من اللّه والتنفيذية والقضائية وكان يساعده في عمله عدد من الكتاب أربعة لكتابة الوحي واثنان يكتبان بين القوم في قبائلهم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء . كما ان النبي كان شديد الحرص على مشورة اصحابه للاستنارة برأيهم لا لحاجة منه إلى الرأي ، بَل ليدرِّبهم ويعلمهم فضل الشورى وان الأئمة المعصومين صورة طبق الأصل عن النبي محمد فقد ألَّفوا بين اتباعهم تأليفاً تقوم فيه العقيدة مقام الدم والمساواة مقام التفاخر والتقوى مكان النسب ووحدة الكلمة والاتفاق مكان التشتت والافتراق .

وخلاصة القول : ان العرب المسلمين فتحوا للعالم بصورة عامة ولأوروبا بصورة خاصة باب المعارف العلمية والأدبية والفلسفية التي كانت تجهلها ومدَّنوها وظلوا اساتذة لها طول ستة قرون .

ولو اتبع المسلمون اليوم تلك المبادىء والقيم وسلكوا نهج محمد وخلفائه وأوصيائه لظلوا أسياد المشرق والمغرب ، فاللّه تعالى اراد للإسلام الرفعة والسؤدد وقال في كتابه الكريم : « ان الدين عند اللّه الاسلام » .

ولكنّنا اليوم اتبعنا أهواءنا وتخاذلنا واستبدّ بنا اعداؤنا وانحرفنا عن طريق أسلافنا مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فلا خلاص للمسلمين الا بالعودة الى شريعتهم السمحاء يستمدون منها القوة والعزيمة والصبر والثبات وعندها تتمهد أمامهم عقبات الاتفاق والتضامن وتحيا في نفوسهم روح الوطنية الشريفة التي بدونها لا يدركون ارباً ولا يبلغون أمداً في هذا العصر الذي تتبارى فيه الشعوب في مضمار الحضارة والرقي .

وهكذا فبالعودة إلى ذلك النظام الأمثل الذي أرسى دعائمه محمد تعود الينا الحياة بحلَّتها الجديدة وترفرف على ربوعنا راية الاسلام فنؤدي دورنا

الحضاري ونقوم بواجبنا في استمراره عقيدة متينة ونظاماً راسخاً في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

بهذا أيها القارىء العزيز نختتم هذا العرض الموجز للدين الاسلامي الحنيف الذي انقذ العرب من حيرتهم وأخرجهم من تخبطهم واحدث في حياتهم انقلاباً عميق الجذور بعيد الأغوار كما استطاع أن ينقذهم من ضلالهم العقائدي كما يظهر من سورة الفاتحة : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فيا إمام الأحرار ويا رائد الثوار بالحق والعدالة والايمان أنظرنا من علياك وسدّد خطانا لما فيه صالح المسلمين فتكون لنا القدرة ونكون لك محبين وعلى نهجك سالكين وعلى طريقك سائرين ، فأنتم ساداتنا وانتم أئمتنا الذين ضحوا في سبيل رفعة الاسلام لنصل الى النهج الواضح والطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ولا التواء .

اللهم اجمع كلمتنا على الحق واحشرنا في الآخرة مع اصفيائك واوليائك منك البداية واليك النهاية . آمين .



مراجع الكتاب

١ ـ اصول الدين وفروعه عند الشيعة : لأحمد زكي تفاحة ـ جامعـة النجف الأشرف .

٢ ـ مفتاح الجنات للسيد محسن الأمين ـ الجزء الثاني

٣ ـ حضارة العرب الدكتور مصطفى الزافعي

٤ ـ تاريخ العرب السياسي ـ الدكتور ابراهيم بيضون والدكتور سهيل زكا

٥ ـ عقائد الامامية العلامة محمـد رضـا المظفـرـ كلية النجف الأشـرف ـ العراق

٦ ـ اعيان الشيعة ـ العلامة السيد محسن الأمين

٧ ـ في طريق التشيع ـ احمد امين الانطاكي .

٨ ـ لماذا اختار هؤلاء العظماء مذهب الشيعة ـ الشيخ محمد حسن القبيسي

٩ ـ جعفر بن محمد الامام الصادق ـ عبد العزيز سيد الأهل

١٠ ـ الامام الصادق ـ محمد حسين المظفري .

١١ ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ الجزء الثاني السيد حسن الأمين .

١٢ ـ ينابيع المودة العلامة الفاضل الشيخ سليمان بن الشيخ ابراهيم .

١٣ ـ نقض الوشيعة ـ السيد محسن الأمين .

١٤ ـ الامام الرضا تاريخ ودراسة السيد محمد جواد فضل الله .

١٥ ـ هاشم معروف الحسني من سيرة الأئمة الاثني عشر .



الفهرس

طبع على مطابع
دار الكتاب اللبناني
ص . ب . ٣١٧٦
بيروت ـ لبنان
٢٣٧٥٣٧ - ٢٥٧٤٧٠